العشرين الى الخامسة والاربعين . وطفق الجند يطوفون بيوت التجار ويختمون صناديق السمن ويجهزونها لمؤنـة العسكر فكان الخوف والقلق يزداد شيئاً فشيئاً

ويوم الاثنين عاشر اب اقبلت شرذمة من الجند الى ماردين في عدد غفير من الاكراد والنصارى القاطنين في القرى المجاورة موثقين بالحبال . ومضوا بهم توًا الى القلعة . وعند فحمة الليل قسموهم قافلتين سيّروهما من باب المشكية الواحدة تلو الاخرى . وخرجت بعدهما قوافل ثلاث من باب الصور الى جهة وان بلغ المجموع اربعمائة رجل وكسورًا . وكانت الامور تشتد وتتصعب رويدًا رويدًا . فقصد مطران الارمن ومطران السريان حاكم البلد وسألاه ان يغض عن البالغين السن الاربعين والخامسة والاربعين ويراجع في ذلك الباب العالي . فاجابهما اني مضطر ان أنجز بالتمام جميع الاوامر التي تردني وفي تلك الليلة نادى المنادي يقول يلزم كل من عمره ثلاثين فما فوق ان يشخص الى المحكمة ويدوّن اسمه . فتأتى من ذلك ان المخاوف ازدادت والاضطرابات تفاقمت . وجعل الناس طرًا يجأرون الى الله ليصرف عنهم المكاره ويطفىء نيران الشحناء . ويرجع الهدو والطمأنينة الى عموم البشر

الفصل السابع

مواصلة جمع العسكر وسوقهم . تجديد تذاكر النفوس انهزام الالمان

من راس العين من ١١ — ٢٠ آب

ويوم الثلاثا ١١ آب نادى المنادي انه يلزم من شاء دفع البدل

العسكري ان يستعجل اليوم في دفعه دون تربّث والا سيق كسائر زملائه . فدفع كثيرٌ من النصارى ثلاثاً واربعين ليرة ولزموا اشغالهم اما الباقون فسار منهم طائفة الى آمد وطائفة الى مديات بلغ عددهم زهاء مائتين في جملتهم ثلاثون من النصارى

ويوم الاربعا ١٢ آب وردت الأوامر من العاصمة ناطقة بان يؤجل من كان عمره فوق الثلاثين . غير ان حاكم البلد صرّح بانه يقبل البدل العسكري مدة اربعة ايام ايضاً . وبعد ذلك يختم الدفتر ويلغى الانعام . ووفدت اليه الاوامر ان يسيّر العسكر الى بغداد والبصرة لان ما احتشد من العسكر في دياربكر بلغ حد الكثرة . وفي هذه الليلة استاق الجنود من ماردين بضعاً واربعين بغلًا حاملة اسلحة وبارودًا . وسيق عند نصف الليل الى دياربكر قافلتان من العسكر بلغ مجموعها مائتين وكسورًا واستحوذت الحكومة على كثير من دوابّ الاهالي بعثت بها الى دياربكر . وبلغنا ان المانيـا ظفرت بالفيلق السابع الفرنساوي . اما اهالي باجنه بطورعبدين فنادوا بالعصيان والتمرّد على الحكومة وآلوا على نفوسهم ان لا ينضمّ احد منهم الى السلك العسكري . فارسلت حكومة ماردين شحنة لتخضعهم للاوامر وتعاقبهم

ويوم الخميس ١٣ اب اذاعوا في ماردين ان المانيا قهرت فرنسا وتغلبت عليها . وعند الليل سار الى ويران شهر شرذمتان من الخيالة الحميدية زادتا على المائتين . اما من صاروا الى دياربكر فكانوا فيها حتى نهاية رمضان . وأوفد سكان طورعبدين الى قائممقام مديات انهم متأهبون للانضمام في السلك الجندي بشرط ان يدفع لهم

ما يفتقرون اليه من البواريد والاسلحة فيتكفلون هم بما يلزمهم من الكسوة والقوت · وكان الجنود يطوفون الاسواق السيوف في أوساطهم والمخاصر في أياديهم ويكتبون اموال التجار ويقولون لهم انهم لن ياخذوا منهم الا عشرين في المائة لا غير وانهم سيوصلون الباقي الى ذويه

ويوم الجمعة ١٤ آب كان الجنود كأمس يجولون في الاسواق ويأخذون ما وافقهم وطاب لهم · ووردتنا الجرائد بان الحرب أمست عمومية وانّ حكومتنا ستعلن الحرب على روسيا · وصباح السبت عيد انتقال العذراء عليها السلام نادى المنادي في البلد ان الشبان المرضى والمزوجين بالنساء اليتامى والطاعنين في السن معفون من التجند فسرّ الاهالي نوعاً · وفي تلك الليلة خرجت قافلتان احداهما الى آمد والاخرى الى بغداد زاد مجموعها على المائتين والخمسين · وقرأنا في الجرائد ان الانكليز والفرنسيس انتصروا على الالمان والنمساويين في البحر والجو وان الروس غلبوا الالمان في البرّ

ويوم الاحد ١٦ آب أطلقت الحرية التامة للضباط والجنود ان يغادوا الاسواق ويراوحوها ويضربوا من يجدونه ويجبروه ان يشخص الى دار الحكومة ليستحصلوا منه امتعة واثاثاً ومواشي وسمناً للعسكر فشقّ عليهم ذلك جداً وشملهم الفزع وكان قومٌ من المسلمين يسلقون الضباط بالسنة حداد ويخزونهم بالسنة اللوم والعتاب · وعند الليل خرجت قافلة من المسلمين والنصارى الى دياربكر تبعتهم النساء باكيات منتحبات · وسارت قافلة ثانية الى ويران شهر بلغ مجموع كلتيها مائة وثمانين نفساً · وبلغنا ان ولاة اطنه والبصرة

ودياربكر عُزلوا وعُين غيرهم · اما السريان المنفصلون فاوفدوا في طلب المطران الياس هلولي من دير الزعفران وولوه شؤونهم بدل المطران جرجس الشيخ · فقصد المطران الياس السيد اغناطيوس مالويان مطران الارمن يريد الاتفاق معه في كل ما يعود على طائفته بالنفع

ويوم الاثنين ١٧ آب عُلقت الاعلانات في الاسواق والكنائس تنطق بوجوب استكتاب كل من كان عمره من الثلاثين الى السنّ الخامسة والاربعين لينضموا جميعاً الى السلك العسكري · وضربوا ثانية ايام مهلةً لمن شاء دفع ثلاث واربعين ليرة ذهباً · فكانت الوجوه كاسفة والقلوب كئيبة والرعبة شاملة الجميع · وعند الليل توجه كثير من الرجال الى دار الحكومة ليكتتبوا فأرجأهم الحاكم الى الغد وبلغهم ان يبدّلوا تذاكر نفوسهم واضطرّهم ان يجددوها · غير ان المأمورين كتبوها كلها « خرستيان » فقط ولم يسعهم ان يذكروا طائفة كل فرد منهم · وكانت تلك حيلة من حيل الترك ظهرت فيما بعد حقيقتها لما أصلتوا سيوف غضبهم وأوضحوا مكنونات قلبهم واستاقوا وقتلوا السريان والارمن والكلدان معاً · وفي هذا اليوم سيّرت الحكومة الى آمد قريب مائة واربعين بعيراً موسقة أسلحة وبواريد

ويوم الثلاثاء ١٨ آب سار جمهور المسيحيين الاكتتاب فصرفهم الحاكم الى الغد · وبعد الغروب خرجت قافلتان قصدت احداهما دياربكر والاخرى الموصل بلغ مجموعها زهاء مائتين · وتوجه رجال نصيبين الى مديات وقصدوا رئيس العسكر ليكتتبوا فانتقى منهم ثلاثين شخصاً وردّ البقية الى بلدهم · ولم توافنا اليوم اخبار من

سوريا للأطلاع على ما يجري في حومة الوغى ببلاد اوربا فكانت الامور معمسة والاحوال تتوتر وتتصعب يوماً فيوماً

ويوم الاربعاء ١٩ آب سار الجند في اربعين جملًا الى آمد وعند الغروب توجه الى ويرانشهر نحو اربعين من الخيالة · وعند النيل سيق قريب خمسين من الرجّالة الى آمد · وقصد وجهاء المسيحيين دار الحكومة ليكتبوا اسماءهم بغية ان يستمروا في البلد لحراسته طبقاً للاوامر الصادرة من العاصمة · فامرهم المتصرف ان يوافوا اليه يومياً معلنين باستعدادهم وتأهبهم لتنفيذ تلك الاوامر · وفي فجر الخميس ٢٠ آب توجهت قافلة من الجنود بلغت نيفاً ومائتي رجل الى بغداد والبصرة · وبلغنا ان قد احترقت اسواق دياربكر · وكان في راس العين نحو ثلاثين من الالمان شخصوا الى حلب فالعاصمة ولما ركبوا البحر الى المانيا قبض عليهم فيما قيل جنود الانكليز ولم يبقَ في راس العين سوى الماني واحد جمع ما عنده من البواريد والمدافع وأطلق فيها النيران فاحترقت · وهجم قوم من الجراكسة [الجاجان] وكبسوا راس العين واختلسوا شيئاً كثيرًا من اسلحة اولئك الالمان ساعدتهم فيما بعد على قتل المسيحيين كما سترى. وكان الرجال البالغون الاربعين فما فوق يواصلون الذهاب يوميًا الى المحكمة دلالةً على تأهبهم لقبول ما يتجدد من الاوامر · ورأينا في الساعة الاولى من الليل كأن شهاباً نارياً انبثق من احد الكواكب في الجهة الغربية الشمالية واندلع لسانه الى الناحية الشرقية الجنوبية

الفصل الثامن

حرق سوق دياربكر · وفاة الحبر الاعظم · عيد رمضان
نكبة ويران شهر · العسكر بدياربكر من ٢١ – ٣١ اب

ويوم الجمعة ٢١ اب بلغنا ان قد التهمت النيران بدياربكر الفاً وخمسمائة وثمانية وسبعين دكاناً ومخزناً كلها للنصارى وكانت تتضمن اموالاً وبضائع شتى · وحدث ذلك بدهاء الوالي وزملائه من نصف ليلة ١٩ اب الى ٢١ منه اي مدة ثلاثة ايام بلياليها حتى امست كلها خراباً يباباً · ولحق المسيحيين من جرى ذلك خسائر باهظة · واستحوذ قوم من المسلمين والجنود على نصيب وافر من تلك الاموال والبضائع فكتب النصارى الى المراجع العالية في العاصمة يطلبون معاقبة الجناة فلم يُعرهم احد أذناً صاغية

وقبل العصر كُسفت الشمس وخيّمت الظلمة مدة سبعين دقيقة على البلد وضواحيه فأبصرنا النجوم في كبد السماء · وجاء في السلك البرقي عند ذاك ان قداسة الحبر الاعظم بيوس العاشر قد فاضت روحه بيد خالقها

ويوم السبت ٢٢ آب سار الرؤساء الروحيون الى دار الحكومة وهنأوا المتصرّف بعيد رمضان فأفادهم ان الالمان قهروا الفرنسيس وتغلبوا على بلادهم ولعلهم عمّا قليل يصلون الى باريس عاصمتهم ويدوّخونها · وتوجه اليوم الى ويرانشهر تقديرًا عشرين من الخيالة غير ان المسلمين قضوا عيدهم حزانى مرتعبين

ويوم الاحد ٢٣ آب لم ترسل الحكومة احداً من الجنود الى

دياربكر كرماناً للعيد . غير ان عشرة جنود ساروا الى المعدن في استحضار ملابس وثياب للعسكر . وشددت الحكومة على البالغين الخامسة والاربعين وتهددت كل من لا يكتب اسمه بالقتل والشنق والنفي . ويوم الاثنين ٢٤ اب ارسلت الحكومة نيفاً ومائة بعير الى نواحي الموصل . وطاف الجنود في الاسواق تكرارا واستلبوا من التجار اثواب صوف وأمتعة شتى لكسوة الجنود

ويوم الثلاثا ٢٥ اب اوفدت الحكومة مائة بعير بنيف موسقة اسلحة وامتعة وثياباً الى دياربكر جمعها الضباط من تجار ماردين المسلمين والنصارى . وعند الغروب سار الى نواحي الموصل ثلاثمائة وخمسون رجلًا من العسكر قيل انهم يريدون طورعبدين ليقاتلوا علي بطي الذي تمرد على الحكومة وخرج عن طاعتها هو ورجاله البالغون سبعمائة مقاتل

ويوم الاربعا ٢٦ اب سار الى وان اربعمائة من الجند تقديرًا . وأطلق سراح البالغين ٤٥ سنة . وعند الغروب شاهدنا عددًا غفيرًا من الرجال والنساء حاملات اطفالهنّ قادمين من ويرانشهر الى ماردين حفاة هلكى من التعب وكان عددهم نيفاً ومائتي نفس اجبرهم قائممقام بلدهم على ان يشخصوا الى ماردين ليدونوا اسماءهم في دفتر الحكومة كأن اشغاله الكثيرة حرسه الله لم تسمح له ان يدوّن اسماءهم في مركزهم ويبعثها الى حكومة ماردين اترقها في دفترها المضبوط . يا لله ما هذا الظلم والتعدي . وما هذا الخبث والغدر . علامَ يحصر المنافق الصديق فيبرز الحكم عليه معوجاً [حبقوق ١ : ٤] ولكن تمهل فان اول الرقص حنجلة واول الشجرة النواة . فشخص

والحالة هذه هولاء المساكين الى ماردين وتركوا بيوتهم ودكاكينهم هدفًا لسهام الخصوم وكانت الدموع تسيل على خدَّيهم يندبون حالهم ويذرون التراب على هامهم ويطلبون النقمة لاعدائهم والنجاة من براثنهم . وبعد ان كتبوا اسماءهم أمروهم بالعودة الى وطنهم

ويوم الخميس ٢٧ آب جاءتنا الاخبار من دياربكر مفادها ان غير المتخرجين في الجندية ممن بلغوا الثلاثين فما فوق معفون من التجند . غير ان شفيقاً المتصرف اخفى تلك الاوامر وواصل يحشد العسكر ويرسلهم الى نواحي وان . وسمعنا ان تركيا مصممة ان تحارب دول البلقان لتسترجع املاكها واراضيها . ويوم الجمعة ٢٨ آب اخذ العسكر يعودون من دياربكر عشرين عشرين وثلاثين ثلاثين . وكانوا يقولون ان قد تكاثر العسكر بديابكر وان جميع الذين أرسلوا الى تلك النواحي سيعودون الى ماردين . وشخص اليوم ايضا من ويرانشهر قريب سبعين رجلًا ليكتتبوا طبقاً لاوامر القائممقام . وكتب الورتبيت اسماك وكيل الارمن بويرانشهر ان لم يبق فيها سوى طائفة من النساء زهيدة مما دعاه الى القلق والرعب معا . واذاع رجال الحكومة ان جميع الذين قدموا من دياربكر سيساقون بعد ايام معدودة الى نواحي وان . وكان المسلمون يجتمعون كل يوم في الجوامع يدعون ويبتهلون في شأن المانيا لتحوز الظفر والغلبة على اعدائها . واذاعوا انها قد نادت بالاسلامية في بلادها واخذت على عهدتها المحاماة عن المسلمين والذود عن حقوقهم والاقتصاص ممن يناويهم

وصبيحة السبت ٢٩ آب اقبلت من دياربكر شرذمة من الاكراد

والمسلمين ممن ناهزوا الثلاثين فما فوق وافادوا الاهالي عما احاق بهم من الضيق والعنف والعذاب اذ كانوا يتوسدون الحجار ويفترشون الارض ويأكلون ما تعفن وفسد من الخبز دون ادام . فتاتى من ذلك ان العدوى شملت قوماً منهم فقضوا ضحية الجوع والعري والضيق

ويوم الاحد ٣٠ اب وُجد في ماردين نحو ثمانمائة كردي قضوا ليلتهم في مقبرة المسلمين عند الميدان ثم جعلوا يرسلونهم الى دياربكر ووان طبقاً بعد طبق . فينهزمون الى قراهم . واقبل اليوم من دياربكر خمسون بعيراً موسقة اسلحة للعسكر الحميدي . وكان الحاكم مشغولاً بكتابة الرجال والنساء ياخذ من كل نفر اربعة قروش ويدفع له تذكرة نفوسه « خرستيان » ؟

الفصل التاسع

اختلاس الدكاكين . سفر المتصرف . الدكتور لويس مركيزي . كبس الكنائس والبيوت . قتل جليل كوكه من ١ - ١٥ ايلول

ويوم الثلاثا اول ايلول كان الجند يواصلون عملهم جائلين في الاسواق يخطفون السكر والبن والامتعة والاحذية وغير ذلك مما يلزم العسكر . وسار في هذا اليوم قافلتان الى وان بلغ مجموعهما اربعمائة شخص ونيفاً وفي ثاني ايلول وصل الى ماردين سربة من البغال والجمال موسقة اسلحة فأودعت القلعة . وقصد اولو الامر في ثالث ايلول النساء الثريات يطلبون منهن اسعافاً للجند فأسنين لهم مبلغا وافراً طوعا او كرها . وفي رابع ايلول عاد الى ماردين قوم

من الجند ممن بلغت اعمارهم الثلاثين فما فوق ورووا لنا ما حل بدياربكر من الضيق والجوع والمرض والموت بعد الحريق الهائل وطاف الضباط ايضا في الاسواق واختطفوا ملحا وسكرا وامتعة وحبالاً ومسامير وحديدا الى غير ذلك مما يفتقر اليه العسكر وروساؤهم معا

ويوم السبت خامس ايلول بلغنا ان الفرنسيس والانكليز والروس عقدوا مؤتمرا في لندن اجمعوا فيه ان لا ينكفوا عن المحاربة الا معا وفي وقت واحد . ويوم الاحد سادس ايلول كان الجنود الحميديون يطوفون في البلد متبخترين ياخذون من الدكاكين ما طاب لهم . وعاد من دياربكر طائفة من البغال والجحاش حاملة الاسلحة وساروا بها الى نواحي وان . ويوم الاثنين سابع ايلول سافر شفيق المتصرف الى دياربكر ونصب خليل اديب رئيس الجزاء وكيلًا عنه وذاع انه عمّا قليل يطلق من كان عمره من الثلاثين الى السن الخامسة والعشرين . وفي ثامن ايلول كان الحميدية يختلسون ويخطفون الثمار والفواكه الواردة الى البلد من بساتين النصارى والمسلمين . وعند العصر رأينا قريب مائة وخمسين بغلًا متوجهة الى دياربكر يتبعها عشرون جندياً

ويوم الاربعاء تاسع ايلول القى نائب المتصرف جماعةً من الحميدية في السجن ردعاً لهم عن الخوض في البلد واختطاف الاموال والثمار وأوفد منهم قافلة الى وان مع شيء من السلاح بلغ مجموعهم ثمانين رجلًا . وسمعنا في عاشر ايلول ان الالمان اجتاحوا فرنسا كلها . وانهم عمّا قليل يدوخون باريس عاصمتها . وفي هذه الليلة وردت

ويستاقوهم . فأفضى الامر بالجند الى ان يهجموا الكنائس طلباً للنصارى . فكبسوا كنيسة مار يوسف للارمن ووقفوا على الباب ينتظرون خروج الرجال لالقاء القبض عليهم . فتأتى من ذلك ان غير واحد من الشبان تأزّروا بازار النساء وخرجوا الى بيوتهم . وصنع الجنود مثل ذلك في كنيسة مار جرجس للارمن وقبضوا على ستة شبان واستاقوهم الى دار الحكومة . فقصد السيد اغناطيوس مالويان وكيل التصرف واحتجّ على الجند الذين أغاروا على كنيستيه وقال له علامَ يقتحم الجند على الكنائس ويلقون الرعب في قلوب العباد . فالجدير بك ان توعز اليهم ليكفوا عن ذلك . على اننا ما قصّرنا حتى اليوم في تنفيذ اوامر الحكومة . غير ان الوكيل نبذ مدّعى المطران ظهريًا ولم يحفل به بتة

ويوم الاثنين رابع عشر ايلول عيد ارتفاع الصليب الكريم كان الضباط والجنود يشدّون على البيوت ليلَ نهار ويقبضون على الشبان فمن رشاهم أفلتوه ومن لم يدفع لهم شيئًا من الذهب وثبوا عليه واخرجوه واستاقوه الى المحكمة وانزلوا به الضرب وارادوه على السير الى وان وغيرها . وظلّ الجند يجولون في البيوت يوم الثلاثاء ايضاً ويسوقون من وجدوا الى مقام الحاكم . وافضت القحة والهمجية بأحدهم اي علي جاويش خفير حي المشكية الى ان قتل شابًا كلدانيًا اسمه جايل كوكه فسارع اليه اهله في بكاء وعويل شديد وحملوه ودفنوه وكتبوا الى الوكيل يتظلمون ويطلبون معاقبة علي اللعين الذي ضرب ابن عمجا ايضاً قبل ايام معدودة وكان يهدد ويضرب بقسوة كل نصراني يمرّ بذاك الحيّ . فوعدهم الوكيل

بمعاقبته ولكنه كعادته اخلف وكذب . فتجددت المخاوف واشتدت وطأتها على المسيحيين . لانهم شاهدوا أية الحكومة والجنود قد امسوا كاسنان المشط مستوين في الحاق السوء بهم . وعند عصر ذلك اليوم توجه قريب ثمانين شخصاً اغلبهم نصارى الى نواحي وان وسار نحو اربعين رجلًا من مسلمي قباله الى دياربكر . وعلى هذا النمط كانوا يسوقون كل يوم سُلفة فسلفة من النصارى والمسلمين دون توقف.

الفصل العاشر

تتبع القبض على العسكر في البلد والقرى وسوقهم

من ١٦ — ٣٠ ايلول

ويوم الاربعاء ١٦ ايلول نادى المنادي في الاهالي ان يلزم البالغين الخامسة والاربعين ان يوافوا الى دار الحكومة ويكتتبوا والا فالحكومة متحفزة للقبض عليهم ومعاقبتهم وكرّر المنادي مناداته في الغد. فشمل الجميع خوف شديد وجعلوا يبتدرون افواجاً افواجاً الى دار الحكومة ويكتبون اسماءهم . فجرّدت الحكومة منهم عند الغروب تقديرًا مائة راجل الى جهات وان . وخمسين اخرين الى آمد . وعاد من دياربكر في ذلك اليوم ثمانون بغلًا اصيب اغلبها بالداء في الطريق . وفي ثامن عشر ايلول وافى من قلعة المرأة نحو ستين رجلًا رقوا اسماءهم في دفتر اخذ العسكر ووافى لذلك السبب عينه احد عشر شخصاً من تل ارمن . وكانت الحكومة مشغولة بكتابة الاسماء ليلًا وبعثة الاشخاص نهارًا . وفي هذا اليوم توجه

سليم ايليا تبسي في جملة من النصارى الى دياربكر بلغوا ثمانين شخصاً كان منهم من المسلمين مائة وثمانون

وكان اليوم التاسع عشر من ايلول يوماً عصيباً ومرًّا جدًّا سيق فيه شبان النصارى كالغنم الوديعة الى مقام الحاكم فكتب اسماءهم . واصدر عند الظهيرة الاوامر الى الجنود فاستاقوهم الى دياربكر قاطبة . وكانت الامهات والزوجات والبنون والبنات يبكون بكاء موجعاً وينوحون نوحاً شجياً . وكان في جملة الذاهبين قوم فقراء معوزون ساروا حفاة جياعاً وتركوا ذويهم في حال ضنك وعيش نكد . وكان كل من الصغار يركض ويعول ويولول ويقول . ابت ابتِ الى اين ترحل والى من ألقيتني ومن يقوم بمعيشتي . مما اثر في القلوب واوجعها جدًّا . وكان عدد النصارى المتوجهين الى آمد نحو مائتي شخص . وودعهم الى العين قرب الفي نسمة من ذويهم وانسبائهم . فساروا والحالة هذه حاملين على ظهورهم اكياساً جعلوا فيها ثيابهم وشيئاً من القوت . وكانت السماء غطاءهم والارض فراشهم ولسان حالهم يقول اللهمّ انقذنا من هذه المظالم واصفع اعداءنا بعصا البوار واخمد لهيب هذه النار واردد انا الامن والسلام بحولك يا قهار

ويوم الاحد ٢٠ ايلول سار ايضاً الى دياربكر نحو ثلاثمائة من المسيحيين على الصورة المشروحة آنفاً فبلغت القلوب الحناجر وذبلت العيون من شدّة البكاء. وواصلوا الادعية الحميمة الى ربّ الجنود ليفكهم من العبودية ويُنعم عليهم بالراحة والطمانينة . وفي ٢١ ايلول سيرت الحكومة الى دياربكر بضعاً ومائتين وخمسين رجلاً بينهم

ستون شاباً مسيحياً عدًّا . وبلغنا ان الجنود الذين في موش قصدوا نواحي العاصمة ليحاربوا دول البلقان ويسترجعوا ادرنه وغيرها من المدن التي خسرتها تركيا عام اوّل

ويوم الثلاثا ٢٢ ايلول توجه زهاء خمسين رجلاً الى دياربكر تبعهم في الغد وما بعده مائة وخمسون رجلاً اغلبهم قرويون. ويوم الجمعة ٢٥ ايلول اقبل تسعون شخصاً من نصارى قرية القصور واكتتبوا في مصافّ الجندية . وذاع ان حكومتنا مذ غرّة تشرين القادم لن تستعرف امتيازات ممالك اوربا في بلادها . ووافى من نواحي الموصل نحو الفي جندي مشاة شغلوا نصيبين وعمودا وطياثا وتل ارمن وهم قاصدون التوجه الى سوريا. ويوم السبت ٢٦ ايلول شخص الى دياربكر زهاء مائتي رجل اغلبهم من نصارى قرية القصور كان ما بينهم قومٌ ممن بلغوا الخمسين وقد وخطهم الشيب ذلك كان قصاصاً لهم لانهم لم يحرروا اسماءهم في الوقت المحدود

ويوم الاحد ٢٧ ايلول سار نحو ستين عسكرياً الى بتليس . ووافت الاوامر من العاصمة في سوق من كان عمره اربعين ربيعاً . على اننا لم نفهم حتى يومنا علام يجتمع العسكر والى اين يذهبون ومن يحاربون . والشائع انهم قاصدون محاربة البلغار واليونان . ولذا ألجأ الامر بعضهم فابتدروا الهرب الى بيوتهم ولزموها مختفين وفي ٣٠ ايلول جاء في اخبار الاجانس ان الروس حاولوا ان يمنعوا سفن الاتراك من الاجتياز في البحر الاسود وان سفن تركيا اغرقت سفينتين لروسيا كبيرتين واطلقت القنابل على سوستبول فتيسرت ونجحت

الفصل الحادي عشر

تقسيط الحبوب والدواب . جمع الاغنام . اختلاس الدكاكين . وفود العساكر من بغداد والموصل . تقويض الدور ـ تشرين الاول

اعلم انه من بدء تشرين الاول الى السادس منه كانت الامور ساكنة هادئة . بيد انه يوم الثلاثا سادس الشهر استدعي الروساء الروحيون الى دار الحكومة فاضطرهم اولو الامر ان يقسّطوا على جماعاتهم قمحاً يسلقونه ويجهزونه للعسكر . فاجاب الروساء الى الطلب دون تمنع اذ لم يكونوا يستحسنون ان يدعوا مجالاً للحكومة لتشكى منهم او تتحامل عليهم . ولم يك يطرأ على بالهم البتة انه لن تطول المدة حتى ينعق بهم ناعق الآفات وتدور عليهم رحى العذابات فتتقصف اعمارهم وتخرب ديارهم

ويوم الخميس ثامن تشرين الاول عاد شفيق المتصرف الى ماردين حاملاً الاوامر من الوالي في جمع الاغنام من العشائر . فانحدر لتلك الغاية الى البرية طائفة من الجند ساقوا الى البلد فوق ثمانمائة الف راس غنم ارسلوا قسماً منها الى آمد وذبحوا القسم الاخر وطافوا البيوت حالاً وجمعوا الطواجن فسلقوها وقلوها ووضعوا القلية بعد نضجها حالاً ضمن العلب (التنك) ففسدت وتعفنت وكُبت غير ان الضباط والجنود وبعض الخاصة سبقوا فتزردوا بحصّة صالحة منها

ويوم الاثنين ١٢ تشرين الاول جال الجنود في الدور وبحثوا عن علب السمن وحملوها الى دار الحكومة . ويوم الثلاثا ألزموا عامة الاهالي ان يقدموا للعسكرية اعدالاً وغرارات وخرجة فاجتمع

الروساء الروحيون وفرضوا على كل نفر من جماعتهم ما يتيسر له . فادّينا نحن من جملتهم ثلاثة خرجة وثلاث عدال . ويوم الاربعا اناخ العسكر في البلد زهاء مائة جمل موسقة حنطة وطحيناً ومضوا بها صباح الغد الى آمد السوداء الجوعى

وبلغنا يوم الخميس ١٥ تشرين الاول ان الحكومة ستدوّن في دفترها ما استلمته من المسيحيين والمسلمين وتعيد اليهم الربع لكن ذلك كان اضغاث احلام . وساقوا في الغد زهاء اربعمائة من المسلمين الى دياربكر . وتقدم الحاكم الى الخفافين والجرازين ان يخيطوا مائتي حذاء للعسكر ففعلوا ذلك صاغرين طائعين . ووافى الينا قوم ممن انهزموا من وان وما جاورها واخبروا ان طائفة من العسكر الالماني قائمون بتعليم عسكرنا وتثقيفه وقد ارسلوا منهم جماعة الى المانيا في قمح كثير وذخيرة وافرة ليتمرّنوا في الجندية ولما ركبوا البحر انقضّ عليهم الانكليز والفرنسيس انقضاض الصقور على بغاث الطيور واحتووا على ذخائرهم . واستحدثت اذ ذاك تركيا طوابع رقت عليها كلمة حربية وبعثت الى ما بين النهرين اجمالاً شتى من العملة النحاسية عُرفت عندنا بالبافون او النكل لتروج ما بين الاهالي رويداً رويداً

ويوم الثلاثا ٢٠ تشرين الاول سيرت الحكومة الى دياربكر فوق اربعمائة بعير موسقة كلها قمحاً وطحيناً . واحضر الجنود من طور عبدين شيخين مقتولين على بغلين يصحبهما ثلاثة شيوخ موثقين وزجوهم في السجن لانهم ثاروا على الحكومة وعاثوا في الجبل كما

شاء هواهم . وكان العسكر في تلك الغضون يوافون افواجاً افواجاً من نواحي بغداد والموصل في كثير من الجمال والجحاش ويقضون ليلة او ليلتين في ماردين وضواحيها ثم يشخصون الى دياربكر . اما الضباط فلم يفتروا من الجولان في الاسواق واختطاف الاموال والبضائع وأفضى بهم الطمع الى اختلاس المسامير والنعال والمسالّ وما شاكلها فبات اصحابها في اضطراب وكدر جزيل حتى انه لم يبق في وجههم رائحة دم لشدة القلق والرعب والضيق

ويوم الاحد ٢٥ تشرين الاول شاهدنا عدداً عديداً من عربات النقل تقلّ اسلحة وخيماً وألبسة الى دياربكر يصحبها جم غفير من العسكر القادمين من بغداد في بغال وجمال كثيرة. وعوّلت الحكومة مذ ذلك على توسيع الجادّة العامّة فقوّضت دور محلة النصارى كدار حيلو وشنخور وكعيب وحائط كنيسة الكبوشيين وما والاها ولم تتعرّض لدور المسلمين . ويوم الاثنين ٢٦ تشرين الاول وافى الى ماردين عسكر غير يسير من بغداد والموصل وتوجهوا الى آمد . واستدعى المتصرف وجهاء المسلمين الى دار الحكومة وحتم ان يؤدّي كل منهم ما يكفي لمشترى بغلين او ثلاثة . واضطر النصارى ايضاً الى مثل ذلك. ولسبب هبوط الامطار في هذه الايام كفّت الحكومة عن ارسال الجند الى دياربكر . واذاع المسلمون ان عساكرهم اغرقوا سفينتين لروسيا في البحر الاسود . وارسلت الحكومة الى آمد نيفاً والفاً واربعمائة جمل موسقة كلها اسلحة وذخائر وامتعة

الفصل الثاني عشر

اطلاق المعينين. مختارا قلعة المرأة وماردين. هجوم الروس. اعلان الحرب. هزيمة الحميدية. روفائيل الطبيب الكلداني . من ١ تشرين الثاني ـ ١٥

ويوم الاحد اول تشرين الثاني وُجد في القلعة نحو اربعمائة رجل كان اغلبهم مسلمين . فوافى الخبر من العاصمة باطلاق الرجال المعينين اعني الذين لا مساعد لنسائهم اليتامى . فأفرزوا والحالة هذه من اولئك الاربعمائة نحو مائة وخمسين ممن كان عمره من العشرين الى الثالثة والعشرين وسرحوهم الى بيوتهم. وفي هذا اليوم شدّ الجنود على قلعة المرأة واوقعوا الضرب بالنصارى واستبدوا عليهم الالسن وختروهم الخسائر الوافرة وساقوا خاجو مختار طائفة السريان الكاثليك الى البلد في شتم وسبّ كثير وضرب وجيع يضطرونه ان يسلمهم من كان داخلاً في السلك العسكري كأنه هو حارسهم وحافظهم . فلما سمع مطران الطائفة ارسل يتوسل الى الحاكم في تخلية سبيله فحثّه الحاكم على ان يخلص الامانة للحكومة اذ كان الى ذلك اليوم خائناً بعد ؟ ثم سرّحه الى قريته

وبلغنا ان الروس في ثاني تشرين الثاني استحوذوا على باشقلعة وعلى بايزيد وطحطحوا العسكر التركي الموجود على الحدود وان سفير الروس غادر العاصمة الى صوفيا وسفيري فرنسا وانكلترا توجها الى مملكتهما . لان الدول الثلاث قاصدة ان تحارب تركيا . ويوم الثلاثا ثالث تشرين الثاني بلغنا ان الروس وصلوا الى ارضروم ووان واستحلوا الاراضي والبلاد

ويوم الاربعا استدعى المتصرف المطارنة ووجهاء المسلمين وبلّغهم ان الدول اعلنوا الحرب على دولتنا فاجتمع المسلمون واخرجوا الراية من الجامع الكبير الى دار الحكومة وصاحوا باعلى اصواتهم « محمد صلوات » ونادوا باشهار الحرب على روسيا وحليفتيها . وكان الضباط رافعين سيوفهم فوق هامتي مطران الارمن ومطران السريان الكاثليك . ولم يحضر اذ ذاك احد من السريان اليعاقبة . ثم القى المتصرّف خطاباً وجيزاً فيه حرّض الجميع على الاتفاق والالفة . وقال ان المسلمين والنصارى يجب ان يكونوا متحدين متفقين قلباً وقالباً في كل ما يعود على الدولة بالنجاح واليسر . ثم خطب المفتي وصرّح بان الفرنسيس والانكليز ضربوا جنق قلعه وانّ الروس تخطوا حدود المملكة . واستنهض همة جمهور الاهالي ليخرجوا لمقاتلة الروس ويثأروا منهم . وبعد هذا عاد كل الى منزله

ويوم الخميس ٥ تشرين الثاني بلغنا ان انور باشا توجه الى ارضروم لمحاربة الروس بعد ما قضى شهر ايلول في برلين عاصمة الالمان وتلقن منهم ما ينبغي ان يعمله . ويوم الجمعة قبض الجند على يوسف باهو مختار السريان الكاثليك واذاقوه من الضرب الشديد الواناً واجبروه ان يفتش عن الفارّين ويحضرهم الى دار الحكومة . كأنهم كلهم في قبضة يده . ثم اطلقوا سبيله بواسطة رئيس الابرشية وتوسله . وبلغنا ان الروس اسروا من عسكرنا الفا وستمائة وكسوراً . وفي الغد سارت قافلة مؤلفة من مائة عسكري الى آمد

ويوم الاثنين تاسع تشرين الثاني بلغنا ان جنودنا المظفرة الباسلة قهرت الروس في باش قلعة . وانه يجب ان يُسرّ لتلك البشرى

العثمانيون قاطبة وكتبوا اوراقاً تنذر بغلبة الاتراك للروس وعلّقوها على باب المحكمة وفي الجادة العامة فكان الفرح شاملاً والسرور جزيلاً

وغداة الاربعاء ١١ تشرين الثاني قعد دار الحكومة مائة وسبعون من المسلمين وخمسة وتسعون من النصارى طبقاً لاوامر الحاكم فبلّغهم ان يجمعوا خمسين بغلا ويقوموا بغذائها حتى اذا احتاج اليها العسكر احضروها حالاً . وساقوا جماعة من شيوخ المسيحيين الى المحكمة يقولون لهم يجب ان تسلموا اولادكم الذين انهزموا من السلك الجندي في دياربكر وغيرها والا سقناكم بدلهم . واضطروا القس حنا طبي السرياني ان ينزل الى القصور ليحضر كل من فر . وكانت اخبار البرق تنطق بان تركيا قهرت الروس واستحوذت على طائفة كبيرة من عسكرهم وعلى شيء كثير من ذخائرهم واسلحتهم

ومذ يوم الخميس ١٢ تشرين الثاني جعل الجنود الحميدية يتوافدون سلفةً سلفةً الى ماردين مبتدرين الهرب من وجه الروس في ارضروم وكان عددهم اليوم مائة واربعين فارساً . فسارع الضباط القائهم ليحضروهم الى دار الحكومة فلما لمحهم الحميدية تحفزوا لمناوشتهم القتال فعاد الضباط ادراجهم وواصل الحميديون مسيرهم الى البرية يعيثون فيها كما يشاؤون . وبلغنا ان عسكرنا يشتغلون في تحصين أسوار دياربكر ليتمكنوا من مقاتلة الروس متى كبسوهم

وفي هذا اليوم أعلن السلطان بالحرب العامة مع جميع اعداء تركيا . وعُلّقت الاوراق في الغد على باب المحكمة فحواها ان قد صدرت الارادة السنية بوجوب محاربة فرنسا وانكلترا وروسيا وكان مكتوبا

في تلك الورقة ان عاهل الانكليز يقول ان الارض لن تنجح ولن تسود فيها الطمأنينة ما لم يُنسخ القرآن ويُلغى من على وجه الارض. تلك ايضاً من جملة الدسائس التي اخترعتها الافكار الخبيثة لتثير عوامل البغضاء بين رعايا الانكليز المسلمين وبين دولتهم . ولكنه تعالى عادل منصف يعطي كلًّا حقه

وكان رؤساء الكنائس اذ ذاك يستدعون ابناء جماعتهم الى الكنائس ويوعزون اليهم ان يشتروا الاجلال للدواب والمخالي للعلف بل اضطروهم ان يجمعوا البيض لتمريض الجنود طبقاً لاوامر الحكومة. والحاصل انهم لم يدعوا شيئاً مما يخص الجنود الا قسطوه على الاهالي والزموهم بتجهيزه شاؤوا او أبوا

ويوم السبت ١٤ تشرين الثاني كبس سبعة من الضباط بيت الشماس روفائيل باهو الكلداني واستحوذوا على كتبه واوراقه مدعين انها تتضمن ما يشير الى انقراض تركيا واضمحلالها . وعثروا بين تلك الاوراق على رسالة كتبها اليه بطريرك السريان الكاثوليك فيها كلمة « روساء » فقرأوها « روسيا » ما انجهم ؟ فعربدوا على الشماس واستاقوه الى المحكمة واهانوه ثم صرفوه وردوا اليه اوراقه. ثم ان الدكتور اويس مركيزي افاد والده على لسان البرق ان قد عاد الى خنس فاستنتجنا من ذاك ان الروس دخلوا اراضي تركيا. واستحلوها ودحروا عنها العساكر . وكتب الارمن في جرائدهم ومجلاتهم يحرضون بعضهم بعضاً ليقاتلوا الروس ويكشفوهم عن بلادهم . وعلقوا ورقة على باب المحكمة كتبتها جمعية الاتحاد والترقي منطوقها

حث الاتراك وحضهم على محاربة الروس وفيها ان السلطان ذاته مستعد للنزول الى ميدان القتال ان دعت الحال

الفصل الثالث عشر

وفود العسكر من بغداد . الانكليز في البصرة . الخطيب في الجامع . القبض على الياس طبي والمقدسي يوسف ارملة . القومندان الالماني في العاصمة . من ١٦ – ٣٠ تشرين الثاني

ويوم الاثنين ١٦ تشرين الثاني انهزم ايضاً جماعة من الحميدية الى ضواحي البلد ولم يستصوبوا الدخول الى البلدة لئلا يحدث ما لا تحمد عواقبه . ووافى جملة من رجال بغداد لبثوا ليلتهم تحت المطر وصاروا صباحاً الى دياربكر . واستولى الجنود على حمير اهل القرى وجحاشهم واستاقوها الى دار الحكومة . وتوجه الى دياربكر ايضاً مائتان من العسكر البغدادي . ولما راى احد النصارى جندياً منهم حافياً رأف به واشترى حذاء ألبسه اياه واعطاه ثلاثين غرشاً لمصروفه فشكر له معروفه ولحق رفقته

ويوم الثلاثاء ١٧ تشرين الثاني بلغنا ان المسلمين دحروا الانكليز في البصرة وأسروا منهم عدة من الجنود والضباط وسارعوا الى المانيا ليساعدوا جنودها وقبضوا على اربعين الفاً من الجنود الروسية في كوبري كوي ومزقوهم كل ممزق ولم يخسر جيشنا العرمرم من رجاله ولا واحداً . نعما الابطال البواسل ؟ وكانت الحكومة ترسل الى نواحي دياربكر يومياً جمالاً وحميراً وجحاشاً

ويوم الخميس احتشد المسلمون في الجامع الكبير قبل الظهر

ورقي الخطيب المنبر وعاق يذكي حماسة الحاضرين ويستنهض هممهم ليتزلوا برمتهم الى ميدان العراك ويقطعوا رؤوس الاعداء عن نحورهم وصرّح لهم بان دول البلقان ثارت على تركيا وان الانكليز استحلوا ما تحت البصرة وان الروس لا يزالون يطلقون القنابل على طرابزون فيلزم من ثم كل مسلم صغيرًا او كبيرًا ان يذهب ويناوشهم القتال ويحوز عليهم النصر . وسار الى امد زهاء ثمانين رجلًا من النصارى والمسلمين . وطفق المسلمون بلفيفهم مذ اليوم يشنعون على النصارى ويحرقون عليهم الارّم ويتوعدونهم بالقتل وسفك الدماء . واجتمعوا تكرارًا في المسجد الكبير يوم الجمعة ٢٠ تشرين الثاني فنشطهم الخطيب ليحاربوا اعداءهم قاطبة ويقاتلوهم بكل طاقتهم . وجرى مثل ذلك في جامع دياربكر فنهض احد الوجهاء وقال : اننا مستعدون للرحيل بشرط ان يتقدمنا الوالي ورجال الحكومة فانتهره الوالي فقال له الوجيه انما قولي هو الحق اليقين . ولكنه في وقتنا لم يبقَ حق بتة . وبعد اخذ ورد انصرف الوجيه الى بيته ساخطًا . ويوم الاحد سار زهاء ثمانين رجلًا الى آمد في عدد كثير من الجمال والبغال الموسقة قمحًا وهطلت اذ ذاك الامطار مدة ثلاثة ايام لم نرَ فيها ضوء الشمس ابدًا . وكانت العساكر تتوارد من الموصل تحت الشتاء دون انقطاع

ويوم الثلاثاء بلغت الاوامر شفيقًا المتصرف ان يتوجه الى بلاد النساطرة في حدود العجم ويدعوهم الى التجند . واجتمع في ٢٦ تشرين الثاني جمهور غفير من العسكر البغدادي في ماردين ولبثوا تحت السماء والامطار تتصبب عليهم مدرارًا وسار منهم زهاء خمسمائة

رجل الى دياربكر واتفق لاحدهم وهو يدع بغله دعًا ويمشي حافيًا في الوحل تحت المطر ان احتدم غيظًا وأطلق لسانه بالشتم واللعن على الدولة وعلى وزرائها وكبرائها فنهوه عن ذاك فلم ينته . وفي هذا اليوم أغلقت الرواهب الافرنسيسيات مدرستهن وبعثن البنات الى بيوتهن

ويوم الجمعة ٢٧ تشرين الثاني أُلقي القبض على الياس طبي السرياني وسيق الى دار الحكومة بحجة انه اذاع على مسامع العامّة ان الانكليز دوّخوا البصرة وتغلبوا على جيوش الاتراك . فلما استنطقوه قال ان يوسف ارمله هو الذي اخبره بذاك فبادر الجند وقبضوا على يوسف ايضًا وساروا به الى المحكمة . فازلقه الحاكم ببدمره وتهدده بالحبس والنفي والقتل ان اخفى الحقيقة عنه فدافع يوسف عن نفسه وابطل دعاوى خصمه فسرّحوه وسرّحوا الياس ايضًا . وما وصل يوسف الى بيته حتى اخذته الحمى وتناوبته اشهرًا لما لحقه من الرعب والهلع على ان ذلك الخبر كان صحيحًا رواه لالياس طبي احد المسلمين المغرضين وانقلب فاخبر الضباط تشفيًا ليوقعوا به ويتبروه . أفٍّ من الغدر والخيانة . فقد قيل من لا امانة له ينبغي ان لا يحسب انسانًا بل وحشًا كاسرًا او اسدًا ضاريًا على ان الخونة في الآخرة هم الاخسرون بلا ريب

ويوم الاحد ٢٩ تشرين الثاني بلغنا ان فون دير غلديس الجنرال الالماني اقبل الى العاصمة ليتولى شؤون الجنود التركية ويشور على السلطان وعلى انور وطلعت بالتدابير التي يجب اتخاذها اثناء الحرب ليبطش جنودهما بالاعداء ويبيدوهم اسرًا وقتلًا وتشريدًا . ويوم الاثنين سلخ تشرين الثاني استدعي الياس طبي تكرارًا الى المحكمة فاضطروه

أن يتوجه الى دياربكر ليتحقق امره رجال المجلس العرفي وينزلوا به ما يستحقه من العقاب لقاء خيانته وسفاهته وتجنيه على الحكومة

الفصل الرابع عشر

كنيسة الكبوشيين . ضرب النساء . المتصرف حلمي . محمد كبوشو . الاباء الدومنيكيون . مواصلة سوق العسكر . كانون الاول

ويوم الجمعة ٤ كانون الاول بلغنا ان سيوافي الى ماردين عدد من الجند لحراستها او ان شئت فقل لاتلافها . اذ كان الجنود الذين فيها الى ذلك اليوم قليلين . وفي الغد عند انفراك الظهر كبس الجنود كنيسة الكبوشيين وأغاقوا بابي دير الرهبان والراهبات. وقد كتبنا فصلاً خصوصياً في ما جرى لهم [انظر الجزء ٣ ف ١٩ الى فرنسا ام الخير والمعروف] واستفحلت الشرور وازداد الاضطراب بحيث لم يعد احد يتجرأ ان يتلفظ بحلوة ولا مرّة فيما ينوط بالحكومة ائلا يُنزل به العقاب او ينفى . وكانت الاخبار الشائعة تفيد ان دولتنا لا تحارب احداً

ويوم الاحد ٦ كانون الاول نادى المنادي يطلب البالغين السابعة والثلاثين وكرّر مناداته في الغد وأطلق الحرية لمن يريد دفع البدل لقاء التجند وامهله شهراً . وسار فوق الخمسين رجلاً الى آمد. ويوم الاربعا ٩ كانون الاول توجه ايضاً الى آمد نحو اربعين شخصاً في جملتهم عشرة مسيحيين . وكان الجند يجولون في البيوت يتعرضون للحريم ويضربون منهن من لا تسلمهم زوجها او ابنها والا فيحرقون اثاث البيت والامتعة . وعقاوا غير واحدة منهن وضربوهن على اقدامهن

. يا للعار والفضيحة . قبحاً لافعال الخونة التشبثين بالفواحش الميالين الى الخلاعة والشرأبين الى الظلم . لعمري ان امرءا تتقضى بالفواحش أوقاته وتسرف في الظلم ساعاته لجديرٌ ان يمحق ذكره واسمه ويخفى في جوف النار جسمه

ويوم الخميس عاشر كانون الاول ساقوا مائة وخمسين رجلاً الى المنصوريّة اذ كان المطر يتصبب عليهم فقضوا ثم ليلتهم وعند السحر توجهوا الى دياربكر . ويوم السبت اقبل الى البلد طائفة من الداشية ممن اختاروا التجند بحريتهم . ومضوا توا الى الجامع فاثنى عليهم الخطيب وبعث فيهم الهمم ليصارعوا الاعداء وينتقموا منهم . وسمعنا ان الروس وصلوا الى الراوندوز وان جنودنا ظفروا بقوم منهم غير يسير عند بحيرة وان

ويوم الاحد ١٣ كانون الاول وافى الى البلد حلمي المتصرف فسار اليه مطران الارمن ومطران السريان وسلما عليه فهش لهما وبش واسمعهما كلاماً طيباً لطيفاً ووعدهما بالمساعدة في جميع شؤونهما فسري عنهما شيء من غمومهما وعاد كل الى مركزه . وفي هذا اليوم ضرب محمد كبوشو الذائع صيت توحشه رجلاً مسلماً على ام رأسه وجرحه . فثار ثائر المسلمين وأغلق النصارى دكاكينهم ومخازنهم خوفاً ولما بلغ التصرف الجديد ما صنع كبوشو الخبيث تهدده وعاقبه وعزله غير ان الحكومة كمألوف العادة رقت منصبه فحولته من المتصرفية الى الولاية فشخص الى دياربكر وواصل الخدمة في وظيفته وتفنن في التنكيل والتهديد والاختلاس كما شاء كيده وخبثه

ويوم الثلاثا ١٥ كانون الاول سار من باب المشكية زهاء مائتي

رجل ممن تجندوا بحريتهم فخرج معهم مشايخ المسلمين يتقرون بالطبول والدفوف والصنوج حاملين الرايات والالوية يعجون ويضجون ويقولون « محمد صلوات » وكان في جملتهم قوم من نصارى المنصورية السريان ممن أطلقوا من السجن على ان يصيروا الى ساحة الحرب ويصارعوا العدو

ويوم الجمعة ١٨ كانون الاول توجه الى دياربكر من العسكر الاختياري مائة وخمسون شخصاً وكان معهم موذن ارتقى الى قاة مرتفعة عند باب البلد الغربي فأذن وصرفهم واستودعهم لحراسة نبي المسلمين . وبلغنا ان العدوى قد فشت بالجنود في ارضروم وانه يموت كل يوم في المائة ستون ذلك لتقبض جلدهم واصطكاك اسنانهم من البرد القارس . ويوم السبت ١٩ كانون الاول فوّض الانكليز الى حسين كامل باشا امر مصر وعزلوا عباساً الثاني فأصدر مفتي المسلمين الفتوى بقتاله . وكان الجنود لا يكلون ولا يملون من التطواف في دور النصارى وضرب النساء الضرب الوجيع

ويوم الثلاثا ٢٣ كانون الاول سار الى وان زهاء خمسين رجلا وليلة عيد الميلاد المجيد عاد الى البلد ثلاث من الرواهب الفرنسيسيات اللاتي سرن الى دياربكر . وقضى المسيحيون موسم الميلاد بالاحزان والاكدار وكانوا يتصعدون زفرات على ما نابهم من جسيم الخسائر وعلى فقدهم أنجالهم وأحبابهم ووافتهم الاخبار من اصحابهم في ارضروم ان يبعثوا لهم الدراهم لينفقوها في سبيل معيشتهم وكسوتهم . كذا فليكن الجنود والا فلا !

ويوم السبت ٢٦ كانون الاول شخص من الموصل الى ماردين

ثلاثة من الاباء الدومنكيين ونزلوا ضيوفاً كراماً في دار البطريركية السريانية فاستقبلهم بحفاوة واعزاز مطران السريان الكاثليك تلميذ مدرستهم وقد كتبنا فصلاً في ما جرى لهم تحت عنوان | الفرنساوي الغريب جزء ٥ ف ٩ |

وبلغنا يوم الاحد ٢٧ كانون الاول ان جنود الاتراك المظفرين زحفوا الى روسيا واستولوا على اربع مدن[1] وسار الى دياربكر مائة من الجنود الاحرار خرج معهم مشايخ البلد ووجهاؤه في الرايات والاعلام يضربون المعازف والصنوج والطبول ينادون بعباراتهم المالوفة ليحمسوهم ويقووهم . ويوم الاثنين ٢٨ كانون الاول سار الى آمد زهاء ثلاثين عسكريا في جملة من البغال الموسقة البسة وامتعة العسكر . ويوم الثلاثا أثلجت من الصباح حتى المساء ولزم اولو الحل والعقد دورهم ولم يقبضوا على احد البتة . على هذه الصورة

(١) اعلم ان جنود الاتراك بعد ان استحوذوا على المدن الاربع في الوقيعة المعروفة بوقيعة صاري قاميش وظلوا فيها ثلاث ليال انقلب عليهم جنود الروس في جيش جرّار وقتلوا وأسروا منهم تسعين الفاً وكسورا . ولم يفلت منهم سوى الجرحى والمكاريّين فقط . ومما يستحق الذكر ان انور باشا والقنصل الالماني الحاضرين تلك الوقيعة أوشكا ان يصلا في قبضة الروس فاضطرّا ان يتنكرا وينهزما تحت الليل الى ارضروم راجلين آخذين مخاصر الطريق ومجاهله لئلا يدركهما العدو . على ان قدمي القنصل الالماني جمدتا لتقبّضهما من البرد . وبعد جهد جهيد وصلا الى ارضروم بحال زرية ثيابهما متوحلة وقواهما خائرة . واستفحلت اذ ذاك الحمى على اختلاف طبقاتها في العسكر التركي مما ثبط الروس من مواصلة الهجوم خوف ان تلحقهم العدوى وتفتك بهم

انسلخت سنة ١٩١٤ المرة وجرعت عامة البشر ولاسيا مسيحيي تركيا الزقوم والعلقم . انعم علينا الرب بقرب الخلاص والنجاة من الاقوام القساة الطغاة

الفصل الخامس عشر

ليلة الدام ؟ في راس الدام

ليلة الدام وما ادراك ما ليلة الدام . هي ليلة تبتهج لها النواظر وتنتعش فيها الخواطر . تتوفر فيها بواعث السرور وتتلى عبارات التهاني . وترتشف فيها اقداح الحبور وتعقد عليها الامال والأماني . يجتمع فيها الاباء باولادهم وفلذات كبدهم فيذكروهم بما كانوا عليه وما صاروا اليه ويحادثوهم بمن خسروا وفقدوا ومن اوجدوا وولدوا ويبثوا في ارواحهم عوامل البهجة حذر ان يكدروا عليهم صفاءهم ويهنئوهم ببلوغهم سالمين معافين الى تلك الليلة الميمونة المباركة ويلاطفوهم ليواصلوا حميد اعمالهم في ظل عناية ربهم . فيتقدم الاولاد ويلثمون أيدي آبائهم . ويرفعون حميم الادعية الى المولى الرحيم في حراستهم وصيانتهم من غدر اعدائهم . ياالله ! ما اجمل [illegible] وابهاه . ما اطيب هذا الحديث واحلاه . مـا اعذب [illegible] . تشخص عيون الانجال الى والديهم وعيون [illegible] كبادهم وعواطف الحنو والحب تشغل [illegible] يأ عند ذاك الاطباق الحافلة بضروب [illegible] وما شاكلها من انواع الاطايب . وتنتظم

حولها الشموع الملونة والمصابيح النيرة تحاكي بزينتها ونورها الكواكب الثواقب . فيحف بها الاطفال والفتيان وشارات الابتهاج والافراح تلوح على جبينهم الاغر الوضاح ثم يندفعون فيرنمون الاناشيد الرخيمة والاغاني الروحية شكرًا للعزة الالهية لبلوغهم الى تلك العشية الوسيمة تلك عادة جرى عليها مسيحيو ما بين النهرين في غابر السنين .

ولما طووا سنة ١٩١٤ المشؤومة ودعوها غير شاكرين لانها ابقت في افئدتهم اثار الاكدار وسطرت على ألواح مخيلتهم آيات الخسائر والاضرار ومثلت لاعينهم صورًا دعتهم الى النفور والانزعاج . وجددت في نفوسهم الكلوم بحيث لم يعد في وسعهم ان يعرضوا عنها ساعة او يزيلوها من فكرتهم بتة . لانهم احتملوا النكبات والضربات وتجرعوا النوائب والمصائب وتكبدوا الخسائر والضرائب واصطبروا على المظالم والجرائم . وادوا ما تبعها من اللواحق والنوافل مغضين على فظاظة الاعلاج الاراذل . ساكتين على السياسة الخرقاء مستسلمين للعار والاحتقار متقلبين في دقعاء الفاقة والافتقار منتظرين السلام والفرج من الواحد القهار كأن كلًا منهم يقول مع القائل

الى الله فيما نالنا نرفع الشكوى ففي يده كشف المضرة والبلوى

على ان الخصوم ما فتئوا يعدون عليهم بالمساوىء والبلايا ويبرقون بالبوائق والرزايا اثناء الشهور الخمسة الغابرة حتى بلغوا الى افتتاح سنة ١٩١٥ الحاضرة . فتعددت عليهم المظالم الشديدة وامسوا كشجرة مبرودة ذهبت أوراقها النضرة . وهصرت اغصانها الخضلة الخضرة ويا ليت الاعداء الجائرين وقفوا عند تلك الحدود وما نقضوا المواثيق والعهود ولكنهم لمزيد خبثهم ودهائهم حاولوا ان يقتلعوا الشجرة

من اصلها ليعفو اثرها ويمحى جذرها كما سترى

اي ولعمري ان مسيحيي بلاد ما بين النهرين اصبحوا في بدء سنة ١٩١٥ كشجرة جرداء غادرها شبانها الحسان النجباء ورحل عنها رجالها الكرام الاحباء واستاقهم الاعداء المردا كما ذكرنا فيما سبق طبقاً بعد طبق من السن العشرين الى السابعة والاربعين . فلم يعودوا يرون سوى من فسدت عشرته وخبثت قشرته وسقطت مروته وذهبت على الاطلاق رافته وشفقته . فكانوا يودّون لو أُتيح لهم ان يبارحوا وطنهم ويتملصوا من غوائل مناوئهم ويقولوا لهم : بورك لكم في الوطن وخيره وخُضر لكم في مليحه وقبيحه وقد قيل

لا يسكن المرء في ارضٍ يهان بها ‏ ‏ ‏ الا من العجز او من قلة الحيل

بيد أنه لما تعذّر عليهم ذلك غضوا على القذى واحتملوا الضرّ والضنك والاذى واعتاجت في صدورهم الغموم واحتشدت عليهم الهموم وكان كلٌّ منهم يوجه خطابه الى غائبه ويقول له :

يا راحلاً وجميل الصبر يتبعه ‏ ‏ ‏ هل من سبيل الى لقياك يتفق

نشدتك الله قل لي يامن غاب عني انّى أُطيق الصبر على ما نابني او تظن أنّ نافر قلبي يسكن بغيبتك او تفتكر أنّ فوأدي يُسر بلذة في بعادك

أَيسرّني عيدٌ ولم ار وجهك ‏ ‏ ‏ فيه الاّ بُعداً لذلك عيدا

فارقتك وبقيت اخلد بعدك ‏ ‏ ‏ لا كان ذاك بقاً ولا تخليدا

فقد تقضت بشاشة المجالس بعدك وودعني الانس والسرور بعدك . هذه صورتك الجميلة المحبوبة كلما التفتُّ اليها لانظرها

تمثلت لخيالي هيئتك واقلقت افكاري غيبوبتك فحركت في لواعج الوجد والأحزان . وتغلبت عليّ عوامل الكرب والاشجان . هذه قرينتك المسكينة البائسة فقد الحت عليها الفتوق والآفات وتوسّدت الحزن وافترشت المشقات وحارت في تدبير البنين والبنات وكلما تمثلتَ لها هيجت قرحة دائها وجدّدت مرارة فؤادها . هؤلاء انجالك المحتفون حولي في هذه الليلة المباركة الحافلة على خدودهم العبرات هاطلة سائلة يلوبون عليك وفي قلوبهم الحسرات تشوقاً اليك واني ليتعذر علي ان اصرفهم عن البكاء وأزيل عنهم العوز والشقاء فالحكومة قد ابعدتكَ عنا وتلتلتنا . وفتّت في عضدنا وحيرتنا . ويا ليتها فعلت كغيرها فأغاثت اولادك وكفتهم مؤنة يومهم وأشفقت على حياتهم . ولكنها لا تفتكر في ذلك بتاتاً . بل جعلت دأبها هضم حقوق العباد . ومدّت أطناب تعسفها على جميع البلاد . فويل لمن انتمى اليها وتوطن اراضيها . ولله در ابي العتاهية اذ قال

انّا لفي دار تنغيصٍ وتنكيد ‏ ‏ ‏ دارٍ تنادي بها أيامها بيدي

رحماك يا رباه رحماك الهمنا الصبر الجميل ومزّق عنا ظلل البلاء والآفات وفرّق منا شمل الكروب والنكبات بجولك يا ابا الرحمات والمعونات

الفصل السادس عشر

وفود الجنود المرضى . فتح ثلاث كنائس السريان الكاثليك . هزيمة العسكر . كبس البيوت . كانون الثاني ١٩١٥

ويوم السبت ٢ كانون الثاني عاد من آمد نحو مائة بعير اشترى

منها الاهالي بعيرين بستين غرشاً · ورجع قوم من عسكر بغداد في سوء الحال متعبين خائري القوى مبتلين بالامراض المتنوعة · فقصدوا مستشفى المرسلين الاميركيين. وصوّب الجنود غضب حنقهم تكرارًا على خاجو مختار السريان بقلعة المرأة فانزلوا به شديد الضرب يريدون منه استحضار من كان داخلاً في سن العسكرية وبعد التيا والتي ارسل المطران وفكه · وفي تاسع كانون الثاني احضروا زهاء مائة من القرويين صعدوا بهم الى القلعة وسيروهم في الغد الى دياربكر

وعاشر كانون الثاني عاد الى ماردين خمسون من الجنود المواصلة معهم مائة جمل قاصدين القفول الى بلدهم. ويوم الاثنين ١١ كانون الثاني توجه الى دياربكر مائتان من الرجالة والخيالة فالقى عليهم الخطيب في باب البلد خطاباً شجعهم ثم ودعهم ورجع · اما الضباط فما برحوا يجولون الدور يفتشون عن المنهزمين والفارين وزادوا على ذلك اختلاس الامتعة والافرشة والبسط من داخل البيوت أن رضخ لهم شيئاً تركوه ومن لم يرشهم اخذوا منه ما استطابوه وظلوا كذلك بضع خمسة ايام · ومنذ اليوم كان الجرحى يتوافدون من نواحي ارضروم فيلزمون مستشفى الاميركيين ايتعالجوا · واصدر الحاكم امره الى المرسلين الاميركيين ان يعلموا طلبة مدرستهم اللغة التركية ويُلغوا اللغة الانكليزية وتوجه الى آمد خمسون رجلاً في جملتهم اثنا عشر من المسيحيين

وفي ١٨ كانون الثاني نقب اللصوص كنيسة السريان الكاثليك بقلعة المرأة واختلسوا الافرشة والبسط · فرفع الاهالي دعواهم الى الحاكم فلم يصغ اليهم · وسار الى دياربكر زهاء مائتي جحش

مُوقرةً قمحاً تبعها نحو ستين من الجند موثقين مزنجرين لكونهم انهزموا من وجه الروس · نشدتك الله قل لي ما المنفعة ممن يذهب الى الحرب جبرًا وقسرًا ؟

وفي ٢٠ كانون الثاني ارتج التجار ابواب دكاكينهم ومخازنهم ولزموا بيوتهم لانهم علموا ان الحكومة معوّلة على القاء القبض على من جاوز الخامسة والاربعين · فمن تيسر له دفع البدل عاد الى دكانه ومن تعذّر عليه الدفع لزم بيته فسئم وتضجر فرام نفسه فسيق الى الموت

وفي فجر الاثنين ٢٥ كانون الثاني نقب السلابة الشكروية نافذة كنيسة دير مار افرام الجنوبية ودخلوا الموفه [السكرستيا] واستلبوا الكؤوس والاطباق وسائر الآنية الذهبية والفضية وفتحوا بيت القربان فالقوا الجوهرة المقدسة على المذبح واستلبوا الحق المبارك وبلغ عدد الكؤوس اثني عشر كاساً من جملتها كأسان اعلم الرهبان ثمينتان جدًا اصطنع احداهما سنة ١٩٠٩ في عاصمة الكثلكة بمبلغ خمس عشرة ليرة · ونهب اللصوص الحلل الكهنوتية والطنافس والافرشة مما بلغت قيمته مائة وخمسين ليرة وكسورًا · وعند نزول الرهبان سحرًا الى الكنيسة الفوا الشمعة موقدة بعد · فراجعوا الحكومة فارسلت من يتحقق السراق فتقفوا اثار اللصوص ايستدلوا على محلهم ثم انقلبوا فكتبوا ما سُرق وعادوا الى دار الحكومة وبالنتيجة لم يتيسر للرهبان ان يحصلوا الاسلاب ابدًا · وفي اصيل هذا النهار سار قريب سبعمائة من الجنود الاختيارية الى آمد · وفي هـذا اليوم عينه وصل الى ماردين السيد اسرائيل اودو مطران

الكلدان عائداً من بغداد والوصل واستغرقت رحلته ثمانية اشهر —

ويوم الخميس ٢٨ كانون الثاني خرق اللصوص حائط كنيسة السريان الكاثوليك بقرية القصور واختلسوا امتعتها واثاثها. فكانت الثالثة اعني كنيسة مار جرجس بقلعة المرأة وكنيسة دير مار افرام بماردين وكنيسة العذراء بالقصور . والكنائس الثلاث تخص طائفة السريان الكاثليك . ولم يبسط الاعداء ايديهم على سواها

ويوم السبت ٣٠ كانون الثاني سار اربعون رجلاً الى آمد وكان الراس يقول لهم اني عارف حق المعرفة انكم عما قليل تنهزمون وتعودون الى بيوتكم . وصح ما قال لانهم ما وصلوا الى اول مرحلة حتى انهزموا بجملتهم . فنادى المنادي ان من ابى الحضور من تلقاء نفسه الى دار الحكومة نهب بيته وقضي عليه بالسجن المؤبد . ودخل الجنود بغتة دار احد المسلمين فالفوا الرجل بزي امرأة متوسداً فلم يثبتوه رجلاً فخرجوا فراوا فتاه فقالوا له اين ابوك قال هو مفترش الفراش داخلاً فعادوا اليه وقبضوا عليه واستاقوه الى المحكمة على تلك الصورة . ودخلوا بيتاً ثانياً ففتشوه تفتيشاً كثيراً فوجدوا رجلاً مختفياً ضمن صندوق فحملوا الصندوق بمن فيه الى المحكمة . وفي هذا اليوم علقوا ثريا بيعة الرواهب الفرنساويات في المسجد الكبير.

ويوم الاحد سلخ كانون الثاني سيرت الى آمد عدة من الحمير والجحاش محملة ذخيرة ومؤناً وبلغنا ان جنود الاتراك طردوا الانكليز من البصرة ودحروهم فتحققنا من ذلك ان الانكليز امتلكوها واستحلوها

الفصل السابع عشر

قدوم الجنود من العاصمة . سرقة الداشية . بيع اغراض الرواهب . حلمي ومطران الارمن والسريان . الجنود والفارون . قتل رجلين . سفر حلمي . الجنود الجرحى . الشامية . كنيسة اليعاقبة . شهر شباط

في اول شباط توجه حلمي بك المتصرف الى تل ارمن لمقابلة الجنود العثمانية القادمة من نواحي العاصمة . وكان رأسهم فيما قيل ابن السلطان عبد الحميد الخليع . وبلغ مجموعهم ثمانية عشر الفاً . وفي ثالث شباط سرق اللصوص الداشية ثلاث بقرات من دار الخوري روفائيل بردعاني السرياني فرفع الدعوى الى المحكمة فالقت القبض على نفر من الداشية ثم سرحتهم كمألوف العادة . فكادوا الخوري وباتوا يستفرصون الفرص ليثأروا منه . وطفقت الحكومة منذ اليوم تبيع اغراض الرواهب الفرنساويات وامتعتهن داخل ديرهن

ويوم الاثنين ثامن شباط توجهت الى آمد قافلة من العسكر بلغت ستين شخصاً . وسار مطران الارمن ومطران السريان الكاثليك الى دار الحكومة يلتمسان من المتصرف ورئيس العسكر كليهما ان يفيداهما اسماء الفارين المنهزمين ليصرفا المجهود في البحث عنهم فاعجبهما ذلك وسرا بما ابداه المطرانان من علائم الحب والاخلاص للدولة . وعربوناً للوداد وافى المتصرف ليلة ١١ شباط الى الدار البطريركية السريانية وكان السيد مالويان حاضراً ثم فلبث ساعتين قضاها مع المطرانين بالمفاوضة الحبية والمجاملة المفطور عليها

طبعاً ثم انصرف الى داره

ويوم السبت ١٣ شباط نادى المنادي ان من شاء دفع البدل لزمه ان يؤديه في مدة ثمانية ايام . ووافى دائفة من العسكر الموصلي خيموا في تل ارمن ثم توجهوا الى حلب وكان معهم سعيد صابر السرياني

ويوم الاثنين ١٥ شباط وما بعده كان الجنود يكبسون الدور للقبض على الفارين والمختفين فسلبوا واحرقوا شيئاً من الامتعة والافرشة وعثروا على بضع ثمانية اشخاص فساقوهم الى دار الحكومة. واعلنوا ان من ابى ان يسلم ذاته بجريرته خنق كما خُنق غيره في خربوط والموصل واستعملت النار في منزله.

ويوم الخميس ٢٨ شباط قتل في شرقي ماردين رجلان يعقوبيان تمرّدا على الحكومة في قرية قرباش بدياربكر. وبعد قتلهما استدعوا احد القسان فمضى وشيعهما ودفنهما في مقبرة مار ميخائيل جنوبي البلد . ويوم الاحد ٢١ شباط سار الى آمد نحو سبعين رجلا وبلغنا ان المدرعات الانكليزية الفرنساوية أَطلقت القنابل النارية على حصون الدردنيل فاتلف الترك منها ثلاثاً . ويوم الاثنين ٢٢ شباط توجه حلمي بك المتصرف الى آمد وكان الجرحى والمرضى يتوافدون منها الى البلدة في عربات النقل وسار اليها في هذا اليوم ثلاث فيئات من الجند الواحدة تلو الاخرى بلغ مجموعها مائة وثمانين شخصا

ويوم الاحد ٢٨ شباط سارت الى آمد فيئة من الجند بلغ مجموعها مائة وعشرين وكانوا موثقين بالحبال الضخمة يدق المشايخ امامهم الدفوف والمعازف . وظهرت حينئذ مسئلة شمامسة القرى .

فخصّص الرؤساء لكل كنيسة شماساً او شماسين فاكثر . وتداعت اذ ذاك جدران بيعة السريان المنفصلين لمزيد هبوط الامطار حتى أُلجئ الكهنة ان يصلوا خارجاً خيفة ان يخر السقف فوقهم . فسعوا في تشييد سوار ضخمة تسند السواري القديمة حرصاً عليها من الهبوط ونادى المنادي يقول : على من آثر العمل في طريق سويرك ان يوافي عاجلا ويكتب اسمه . لئلا تفوته تلك الفرصة السعيدة التي لا يحصل عليها الا المغبوطون

الفصل الثامن عشر

فشو العدوى في العسكر . حصار العاصمة . عملة الطريق . والي الموصل . القبض على قسّ الكولية . اختلاف الجنود الى الكنائس . مسئلة الشمامسة . شهر اذار

فشت الامراض واستفحلت العدوى في الجنود التركية فأودت بحياة كثير منهم في ولاية دياربكر وخربوط وارضروم ووان . وكانت تفدنا الاخبار في ذلك عن الشبان الماردينيين خاصة فتزداد الاوجاع ويكثر القلق والانزعاج. اما المسلمون فاذاعوا ان الفرنسيس والانكليز تقدموا من العاصمة وحصروها ووصلوا الى بحر مرمرا فكنا نؤمل الخلاص سريعاً والنهاية الحسنة ونترقب عن النتيجة لنتملص من الكوارث والبلايا . وفي ٢ اذار عاد المتصرف حلمي من دياربكر وراح خضر جلبي رئيس البلدية منذ اليوم ينتقي عملة من النصارى ليوسعوا الجادة التي سموها باسم رشيد الطاغية تيمّناً وكان الجنود يتحكمون في النصارى ويقسرونهم على مواصلة العمل

عاجلًا دون اجرة[1]

ومذ ٣ اذار الى العشرين منـه كانت اخبار محاصرة العاصمة شائعة ذائعة في ماردين . واضافوا اليهـا ان الروس عبروا البوسفور وعما قليل تتصل مدرعاتهم بمدرعات الانكليز والفرنسيس فيدوخون الاستانة ويستولون على عرش الخلافة ويكسرون الاتراك والالمان معاً . فجعلنا نواصل الابتهال الى الله القهار ليطفئ سعير تلك النار وينقذ المسيحيين من الاضرار والاخطار . غير ان الخصوم حرسهم الله ارجفوا وخاضوا في الاخبار السيئة وتهددوا النصارى بالقتـل وسفك الدمـاء وجعلوا يتقوّلون عليهم بالاكاذيب ويوردون انواع الخدع في هلاكهم ويرتاحون للانتقام والاثار منهم كأنهم هم الذين يحاربونهم ويقاتلونهم . والقارئ الحبيب ان يستنتج من ذلك عظم الخوف والرعب الذي شمل المسيحيين بالرغم عما اصابهم من الارزاء والخسائر على ما ذكرنا . فتباً لفتنة عمياء وعداوة صماء ملكت قلوب العدى المجبولين على الاستفساد والاذى

وفي ٢٣ اذار سار الى دياربكر قرب مائة وخمسين رجلًا لينضموا الى رفاقهم في آمد وغيرها فيصابوا نظيرهم بالامراض ويحتملوا العري والقر والجوع . ويوم الثلاثاء ٢٣ اذار وصل والي الموصل وخيم في الفردوس شرقي البلد يريد التوجه الى آمـد . وفيه اقبل قوم من الجنود واطلقوا الرصاص في باب الشكية ليتمرنوا على القتال فخاف الاهالي خوفاً شديداً . ومما زاد الرعب والهلع ان الجند في القصور

(١) راجع الجزء ٣ ف ٣٠ من هذا الكتاب

قبضوا على القس جرجس شمعي وعلى مختار السريان واوثقوهما بالحبال واحضروهما الى البلد وساروا بهما توًا الى المحكمة فتشوشت الافكار وتبلبلت الخواطر وسار مطران السريان واكد للمتصرف براءة ساحة القس والمختار معاً مما قرفهما الاعداء فاطلق سراحهما وحضهما على اخلاص الطاعة والامانة للدولة

ويوم الاربعـاء ٢٤ اذار ظعن والي الموصل الى آمد في ست عجلات تقل أغراضه وحرمه . وتشاءم الناس من مجيئه ومضيه . وفي ٢٨ اذار صباح احد الشعانين انطلقت الجنود عـلى جميع الكنائس يحاولون القبض على الفارين وعلى الشمامسة ودخل نفر منهم داخـل كنيسة السريان المنفصلين وتخلل الجماعة وقبض على رجلين واستاقهما الى دار الحكومة فبعثوا بهما الى آمد سريعاً . اما الكاثليك فلبثوا في كنائسهم ريثما انكشف عنها الجنود فخرجوا الى بيوتهم مرتعبين . ثم صدرت الاوامر في وجوب تجنـد الشمامسة وارسالهم الى ارضروم دون تربث . فاجتمع الاساقفة وخابروا على لسان البرق القومندان الموجود في باش قلعة يسترحمون اعفاء الشمامسة طبقاً للاوامر الصادرة من العاصمة فوافى الامر بالاعراض عنهم . غير ان اعداء النصرانية اضربوا عن اشهار الخبر واذاعوا ان لا مندوحة للشمامسة من التجند . فعاد الجند واختلفوا الى الكنائس اثناء اسبوع الآلام كله ليقبضوا على من يشاهدون . وتأتى من ذلك انّ اغلب النصارى لزموا دورهم . وقضى رؤساء المسيحيين وقسانهم حفلات ذلك الاسبوع المقدس بما لا يوصف من الكدر والقلق حتى السبت العظيم فانتشر حينئذ الخبر بالرغم عن مراغم الاعداء ان لا يعدوا الايدي على الشمامسة . ويضيق ذرعنا

عن تعداد ما اقترف الجنود اثناء ذلك من المظالم بالمسيحيين مما اذاقهم الامرّين وجرّعهم كؤوس الاشجان واكواب الاكدار

وفي سلخ اذار سارت قافلتان الى دياربكر بلغ مجموعهما مائة وثمانين شخصاً ونيفاً

الفصل التاسع عشر

عيد القيامة . ورود الفرمان للسيد مالويان . تجنيد العسكر الحسيني . لؤم الحاج زكي . حرق الاوراق والكتب . الجمعيات السرية . كبس كنيسة الارمن . شهر نيسان

قضى النصارى عيد القيامة المجيد في رابع نيسان بقلوب خافقة جافلة وصدور هالعة خائفة . ملكت الرعدة على فرائصهم وازدادت الاراجيف بين ظهرانيهم . وكان قصاراهم السكوت ليفوزوا بالسلامة ويحصلوا على الطمأنينة . واذاعت الحكومة انّ معتمدي اميركا وافوا الى باريس ولندن ليحجموا الدول المتحاربة عن القتال ويلجئوهم الى عقد الصلح والوئام فسرّت تلك الاخبار عن قلوب المسيحيين شيئاً من الهموم والاكدار . واتفق ان حلمي بك المتصرف زار الكنائس ثاني العيد وهنأ الرؤساء الروحيين وطيّب قلوبهم وسلّاهم واذن للاباء الدومنكيين الثلاثة المتروين في دار البطريركية السريانية ان يخرجوا ويجولوا اينما احبوا وشاءوا اذ كانوا الى ذلك اليوم لازمين غرفهم لا يجسرون ان يغادروها

وثالث عيد القيامة ٦ نيسان تقدمت الحكومة الى العملة النصارى ان يعاودوا الشغل في اصلاح الطرق وتوسيعها . وفي اليوم عينه

وافت الاخبار من العاصمة الى السيد اغناطيوس مالويان مطران الارمن ان قد انعمت علية الدولة بالفرمان الشاهاني والنوط العثماني . فاجتمع وجهاء الطائفة يتقدمهم مطران الكلدان ومطران السريان وهنأوه . لكنّ المطران اغناطيوس كان قلق الافكار مضطرباً لسبب الاخبار التي كانت ترده من مطارنة الطائفة الموجودين في ارضروم وخربوط وسيواس وغيرها فيكتحل السهر ويلوذ بالصمت مصطبراً ويحبس في صدره الواسع تلك الحوادث المرّة المزعجة لئلا يزيد أبناءه كدراً وألماً . ولما بلغه ان الحاج زكي كاتب الطابور اللجوي يندد بالنصارى تخرّصاً ويشغب المسلمين عليهم تشفياً اولم له وليمة في دار المطرنة استجلاباً لخاطره واقتناصاً لمحبته ليصرفه عن خبث نيته . وفاته ان قلب الكاتب الزبور دغل وضميره نغل لا يكلّ ولا يمل من تسعير نيران الفتن وتهييج المسلمين على المسيحيين وانه قد كتب الى القرى يستنفر كبراء الاكراد وزعماءهم ليفتكوا بالنصارى ويجتثوا أصلهم

ويوم الاحد ١١ نيسان استاقوا زهاء مائة وخمسين من مسلمي رشمل وقباله الى دياربكر فلم يلبثوا ان انهزموا وعادوا الى منازلهم

وبلغنا يوم الثلاثا ١٣ نيسان ان الحكومة متشبثة بتجنيد العسكر الحسيني الاختياري فبادر مسلمو ماردين الى الانخراط في ذلك السلك الحديث اذ كانوا قبل هذا العهد ينهزمون او يختفون عن اعين الحكومة ولم نكن نعرف ما المراد من تجنيدهم . لكنا تشأمنا منه وتجدد اضطرابنا

اما الحاج زكي اللعين فتمادى في خبثه ولؤمه وثابر يراسل مشايخ القرى . فلما شعر به الحاكم رحّله من البلد دون تمهل اخماداً

لنيران الاراجيف . فسافر يوم السبت ١٧ نيسان الى آمد . وحسبنا ان نقول ان الحاج زكي الزبور غدا متّاعاً اكل خير مشّاء بالنميمة والسعاية وكان يحشد في داره كل ليلة احزاب الخبث والدهاء فينفث فيهم سمّ البغضاء والشحناء ويبثّ لهم احاديث الفساد ويئزهم على سحق النصارى ومحقهم ظلماً وعدواناً . قل ان الخائن كبر مقتاً عند الله

ويوم الاحد ١٨ نيسان وافى الى دير مار افرام حلمي بك المتصرف مستصحباً خضر جلبي رئيس البلدية ولبث مدّة يفاوض رئيس الدير بما طبع عليه من الرقة والعذوبة ودماثة الاخلاق . ثم تعهد الغرف والكنيسة وعاد الى مركزه

ويوم الاثنين ١٩ نيسان سُيرت فئة من الجنود الى نواحي سعرد وسُير مثلها في الغد وما بعده ايضاً بلغ مجموع الفيئات الثلاث فوق الاثنين والخمسين . وشخص الى ماردين مبغوثها يتبعه محمد كوشو الخبيث ليسيرا على قولها الى البرية ويجمعا من العرب الفي بعير طبقاً لاوامر رشيد الغشوم

وفي عشرين نيسان وافى الفرمان الشاهاني الى السيد اغناطيوس مالويان فاستدعاه المتصرف الى دار الحكومة ودفعه اليه . فرفع الى السلطان ووزراء الدولة الادعية في نصرهم وفوزهم ثم قفل راجعاً الى دار المطرنة . وامر ان تنصب الراية العثمانية على سطح الكنيسة وراح كبراء الطائفة ووجهاؤها يهنئونه ويدعون له بالتوفيق والتيسير . وكان المطران يخفي شارات الخوف ويظهر علائم الشجاعة ويستر الضعف بجلباب القوة والبسالة ويقول مع القائل

وان قصدتك الحادثات ببوسها فوسّع لها صدر التجلد واصبر

ويوم الخميس ٢٢ نيسان اوفد الخواجا حبيب ترزي دي جروه احد وجهاء الطائفة السريانية يقول اخفوا ما عندكم من الرسائل والاوراق والكتب المتضمنة اخباراً سياسية او كتابات افرنسية او ارمنية فان الحكومة مزمعة ان تبحث عنها بحثاً مدققاً وتنزل اغلظ العقاب بصاحبها فشكر الكثيرون للوجيه وسارعوا الى حرق الرسائل والمكاتيب واخفاء المهم منها . ومن جملة ذلك دفن المؤلف في قلب الارض التصانيف الخطية ومجموعة الحوادث اليومية التي كتبها مذ اعلان الحرب الى ذلك اليوم وأوقد جميع الكتب الارمنية والفرنسية لمزيد الرعب . اذ كان الاعداء يحاولون ان يصيبوا حجة من النصارى ليمثلوا بهم

ويوم الاثنين ٢٦ نيسان علمنا ان المسلمين نشوا يختلفون الى البيوت تحت الليل ويتقوّلون على النصارى ويؤلفون الجمعيات للايقاع بهم . ويبعثون الاوامر الى مشايخ القرى ليتفقوا معهم في ذلك

وفي سلخ نيسان يوم الجمعة كبس كنيسة الارمن شرذمة من الجنود واحتاطوا بها وجعلوا يبحثون وينقرون عن اسلحة ومدافع . وتهددوا المطران والقسّان وعربدوا عليهم والجأوهم ان يكشفوا لهم المخابئ كلها . فقال لهم المطران بجرأة اليكم الكنيسة ودار المطرانية وغرف الكهنة فتشوا ما استطعتم ونقبوا بكل طاقتكم فاننا لسنا ممن يخزن عنده اسلحة . وما فائدتنا منها ونحن لا نتجرأ ان نمسكها بيدنا . غير ان الاعداء لخبث طويتهم لم يصدقوا مقالة المطران فخاضوا الكنيسة والقلالي والغرف جمعاء ولم يعثروا على شيء

مما توهموا وادّعوا. وقصدوا غرفة المطران وفتشوا اوراقه واستحوذوا
على جميع الرسائل الوافدة اليه وعلى الاوراق القديمة الموجودة لديه
وعلى الدفاتر والصحف والسجلات ومضوا بها الى دار الحكومة
وارسلوها الى والي دياربكر الخبيث ليفحصها . فتنغص المطران
من ذلك ايّ تنغص وتأسف على اوراقه شديد الاسف اذ كان يحسبها
من اثمن الكنوز وأفخر التحف

الفصل العشرون

نبوّة السيد اغناطيوس مالويان

وليلة اول ايار اجتمع الحبر الجليل باقسّته الافاضل واعرب لهم
عن مكنونات صدره وكاشفهم بمزيد اضطرابه وكدره ونقل لهم
خلاصة الاخبار التي وردته من روساء ابرشيات ارمينية عن جماعاتهم
مما يقلق الافكار ويلقي اليأس والقنوط في القلوب فشملهم الفشل
والرعب وقصدوا الكنيسة تلك الليلة وانطرحوا امام المذبح المقدس
يبتهلون نحو السماء الى ربّ العزّ والجبروت يطلبون منه الغوثة
والمعونة . وكان منظر الحبر النبيل وامتقاع لونه يبينان ما في نفسه
من الانحلال والارتعاش لسبب الغوائل التي تتهدده وتتوعد اقسته
وجماعته وبعد ان قضوا برهة يتضرعون بالابتهال الى الله باكين متنهدين
مبسوطة ايديهم الى السماء مستمنحين العضد والقوة ليخوضوا غمرات
الاضطهاد استودعوا نفوسهم الى العناية الربانية والحماية المريمية
والتمسوا من صاحب العهد المقدس مار جرجس البطل الصنديد
والفارس الباسل ان يؤيدهم في الايمان القويم ويوطد في قلبهم دعائم

الشجاعة ليفوزوا بالغلبة والانتصار على اعدائهم الخونة الاغرار. وبعد
هذا كفكفوا دموعهم السخينة وانصرفوا الى غرفهم صامتين وباتوا
ليلتهم يتململون قلقاً ويتقلبون أرقاً

وعند الصباح اخذ السيد اغناطيوس الغيور القلم بيمينه المباركة
وكتب رسالة جليلة حقها ان تنقش بحروف ذهبية لانها تضمنت
النبوءة عما سيحيق به اقتداء بسميه اغناطيوس الشهيد فخر بطاركة
انطاكية الذي دوّن رسالته المشهورة واوفدها الى المسيحيين الرومانيين
يتوسل اليهم الا يعارضوه في نيل اكليل الاستشهاد . ودفعها في ٢
حزيران الى السيد جبرائيل تبوني مطران السريان ليصونها عنده بمثابة
تذكار ثمين اليك نصها بحروفها

- عبديسوع المسيح بنعمة الله

المطران اغناطيوس مالويان رئيس اساقفة ماردين وملحقاتها

المثبت من الكرسي الرسولي

الى اولادنا المحبوبين بالرب الخوارنة والكهنة وسائر طغمة
الاكليروس الاجلا السلام الوداعي والبركة الالهية

والى اولادنا الاعزاء بالرب شعب ابرشية ماردين وملحقاتها
السلام والبركة من صميم الفؤاد

« لما كانت هذه الظروف الحاضرة تقضي علينا باتخاذ
كل الوسائط اللازمة لادارة شوون ابرشيتنا العزيزة قبال

كل ما عساه ان يصادفنا في هذه الاونة الحرجة ونحن تداولنا ايدي امواج تعصف بها الرياح من كل جانب وتتهدد حياتنا الضئيلة التعيسة . فناقي ونحرضكم قبل كل شيء ان تقوّوا ايمانكم وتعززوا ثقتكم بالصليب المقدس المرتكز على الصخرة البطرسية التي عليها ابتنى السيد المسيح كنيسته الابدية الاركان جاعلًا دم الشهداء اساساً لها . ومن أين لنا تلك المنية العظمى ان يؤهل دمنا نحن الخطأة ان يمتزج بدم اولئك الابرار الاطهار [1]

(١) التمس الاب اندراوس احمرنيان وكيل دير بزمار في ٢٤ حزيران ١٩١١ من السيد اغناطيوس مالويان ان يفيده شيئاً عن اعماله ليدرجه في سجلّ الدير فكتب اليه المطران ما شرحه مما يدل على خوضه في عباب الاتضاع والكفر بالذات قال « اني لسوء الحظّ لم اعمل مدة حياتي شيئاً يستوجب الذكر . فقد ارتسمت كاهناً بدون استحقاق في ٦ آب ١٨٩٦ ومكثت بالدير على اثر رسامتي سنة ونصف سنة وخدمت الطائفة في الاسكندرية ومصر . ثم استدعاني غبطة البطريرك بولس صباغيان الى الاستانة وجعلني كاتباً لسرّه . اما الان فقد أمرني غبطة البطريرك ان اشخص الى ماردين لاكفّر عن خطاياي واغرس شجرة السلم والحبّ في القلوب النافرة . ثم عهد اليّ رعاية الابرشية . تلك فذلكة حياتي الشقية . اما سيرتي قبل رسامتي كاهناً فمروفة لدى الجميع »

« ثم اذا نفذت بنا احكام العلي باي نوع من الانواع بالابتعاد او بالاستشهاد فقد عيَّنا ان يستلم زمام ادارة ابرشيتنا حضرة الاب الجليل اوهنيس ورتبيد بوطريان ويكون له بصفة معاون حضرة الابوين دير جبرائيل قمرجيان ودير اغناطيوس شاديان . فنرجوكم ان تخلصوا له الطاعة متكلين على الهام الروح القدس الى ان يشاء الرؤساء فيأتوا بتدبير اخر يوافق الحال والزمان

« فانا اجتهدتُ بقدر ما بلغت مني الاستطاعة القاصرة في الطاعة التامة لراس كنيسة الله الحبر الروماني الاقدس . وجلُّ بغيتي ان ارى اكليروسي ورعيتي العزيزة تحذو حذوي وتخلص الانقياد دائماً لاوامر السدة الرسولية

« ثم اني اويد بانني ما خنتُ قط في امر من الامور الدولة العلية بل كنتُ دائماً مخلصاً الامانة لها كما هي واجبات المطران الكاثاليكي فاحرضكم ان تسلكوا جميعكم هذا المسلك

« استودعكم الله ايها الابناء الاعزاء طالباً اليكم ان تصلوا الى الله كي يعطيني القوة والشجاعة لاقضي هذا

العمر الفاني بنعمته وفي محبته حتى سفك الدم

عن قلاية المطرنة بماردين ✝ الحقير المطران اغناطيوس مالويان
١ ايار سنة ١٩١٥ رئيس اساقفة الارمن الكاثوليك
بماردين وملحقاتها

هذه اخر عبارة دونها الحبر الشهيد بتلك اليمين المقدسة وهي قوله « حتى سفك الدم » اوضح بها ارتياحه الى خوض ميدان المعركة واحراز تاج الغلبة . ولمزيد تعمقه في بحار الاتضاع قال « من اين لنا تلك المنية العظمى ان يؤهل دمنا نحن الخطاة ان يمتزج بدماء الشهداء الابرار الابطال » فاعلن بذلك انه يصبو بكل جوارحه ان يحتمل الاذى والنكال تأسياً بالشهداء البسل الابطال ويقتحم غمرات العذاب كأسد مغوار فيغسل دمه الزكي ادرانه وينقيه من جميع الشوائب ويعرضه على الحمل الذبيح بمثابة تحفة شهية ليحوز القبول لديه فيضمه الى مصاف الاحبار السعداء المغبوطين الراتعين في بحابح نعيمه . مرحباً بالهدية السنية واهلاً وسهلاً بمهديها البار الشجاع

ثم صرّح باخلاصه الطاعة للكرسي الرسولي المقدس عربوناً لغلوه بالدين المتين وراح يبعث في افئدة رعيته المباركة العزيزة تلك الشاعرة الجيدة ويحييها لتبوء بدمها نظيره حباً للديانة الكاثليكية المقدسة وشرائعها الغراء . فكأنه يقول لها ان « ربنا الحي وان سخط علينا حيناً يسيراً لتوبيخنا وتاديبنا سيتوب على عبيده من بعد

اخيراً أيد قائلاً « اني ما خنتُ قط في أمر من الامور الدولة العلية بل كنت دائماً مخلصاً الامانة لها كما هي واجبات المطران الكاثليكي » لعمري ما قول تركيا ورجالها الخونة في ذلك . كيف تيسر لهم الحاق السوء والعذاب بن احض لهم المودة واخلص لهم الامانة . ترى ما الذي استفزّهم ليتهضموا الراعي البارّ ويغلبوه على حقوقه ويماطلوه أعنف معاملة ليودوا بحياته . ما كاد يمر الشهر مذ وافاه الفرمان والنوط حتى قامت عليه وعلى طائفته المحبوبة قائمة الاشرار اللئام وفوّقوا لهم اصوب السهام . . .

يا رباه . ان هولاء كبسونا مجدفين وعذبونا ساخطين . وحسبوا نكباتنا وشقاءنا حظاً وهناء لهم . وألحقوا الاضرار باموالنا واملاكنا وارواحنا . فحتّام تتأنى وإلامَ تصمت . . والا فصبراً على ما يرجفون ولتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الارض

الفصل الحادي عشر

كبس الكنائس . القس حنا شوحا . الجمعيات . جمع الاسلحة . عزل المأمورين النصارى . قتل عيسى قربو . تعذيب جرجس آدم . رشيد وحلمي . قتل الرئيس برو وذويه . القبض على ابن حنجو واصحابه . دسيسة . بعث امراة الى حلب

ما اكتفى اعداء النصرانية بتفتيش كنيسة الارمن بماردين بل هجموا على غيرها من الكنائس ايضاً ففتشوا بطركخانة السريان الكاثليك داخلاً وخارجاً . ويوم الاحد ٢ ايار هجموا كنيستهم ووثبوا بالقس حنا طبي وملكي سلمو وهو يشتغل ببناء مذبح مار يوسف واوسعوهما شتماً وضرباً وحرّجوا على البنّاء استئناف العمل

وقوّضوا الدمص الذي شاده وحفروا لينبشوا الاسلحة والمدافع التي ادّعوا ان العملة يخفونها في قلب الارض فلم يعثروا على شيء. فانصرفوا خائبين . وعند عودتهم لقيهم محمود عبدالو في الطريق واكد لهم انه هو الذي باع السيد يوحنا معمارباشي المذكور في الخبر بندقيتين (متراليوز) فرجعوا الى الكنيسة تكرارًا ونبشوا ضريح المطران المتوفى وفتشوه فلم يجدوا شيئاً فعادوا خائبين

وفي الاحد التالي تاسع ايار احضر شرذمة من الجنود القس حنا شوحا الكلداني من نصيبين مدّعين انه أخفى عنده بعض الفارّين . وعند الظهيرة ألقوا طوقاً حديدياً برقبته واستاقوه في الجادة العمومية في هرج ومرج اذ كان الاعلاج يتبعونه ويقذفونه بالحجار ويذرون التراب على هامته . وأوغلت بهم اللآمة الى ان ألقوا على قذاله لفائف الدخان وهي مشتعلة ليزيدوه أذًى وعذاباً . وما برحوا يجرّعونه أكواب الشتم والسب والهزء حتى وصلوا به الى باب البلد الغربي فعاد الاعلاج الاوغاد الى بيوتهم وسار الاب المظلوم في جماعة من الجند الى دياربكر ليحاكمه رشيد الوالي الزنديق بما يستحق . وصرف السيد اسرائيل مطرانه الجليل العناية في تخلية سبيله فلم يفلح فكتب الى المطران سليمان بدياربكر ايسعى في انجائه . غير ان الاب حنا المشار اليه ما وضع قدمه بمدينة دياربكر جرثومة الشرور حتى لقيه الانذال السفلة في الاسواق واشرحفوا لتصويب نبال سخطهم عليه وانزال العقوبة بـه والقوا جلجلًا في رقبته تأسّياً بالحاكم ابن العزيز العلويّ صاحب مصر في اواخر القرن العاشر فانه على ما اورد ابن العبري في تاريخه المدني السرياني امر المنادين ان ينادوا ان من لم يدن

بالاسلامية يُذل ويحتقر ويُعلق في عنقه خشبة كالصليب وزنها اربعة ارطال بغدادية . واذا دخل الحمام وجب ان يعلقوا في عنقه جلاجل ليتميز من المسلمين . غير ان أوباش دياربكر سُودت وجوههم ما اكتفوا بذلك كله بل لطخوا لحية الاب الموما اليه بالاقذار وقذفوا عليه الاوساخ حتى بلغوا به توًّا الى اعماق السجن وهناك افحشوا في ضربه وتعذيبه حتى فاضت روحه بيد خالقها

وكان الخصوم مذ ذهاب القس حنا شوحا على الصورة المشروحة الى دياربكر يختلفون الى البيوت ويواصلون المؤآمرة على افاحة دماء النصارى مغمضين عما جاء في سورة القصص « ولا تبغ الفساد في الارض ان الله لا يحب المفسدين »

« ويوم السبت ١٥ ايار أوفد رشيد والي دياربكر المنافق الى ماردين صديقه فيضي بك ابن عارف بك برنج وما وطئ ارضها حتى ارسل في استحضار الاعيان والوجهاء الى دار قاسم بن عبدي جلبي الحاج كرمو وبثهم مضمرات الوالي ومكنونات قلبه الفاسد وعرض عليهم كيفية البلوغ الى تلك الغاية الشريرة وقال لهم « قد آن الاوان لانقاذ تركيا من اعدائها الوطنيين اعني المسيحيين. وينبغي ان يتأكد لدينا ان دول اوربا لا تعارضنا ولا تحاجّنا ولا تعاقبنا لان ألمانيا معنا تعضدنا وتساعدنا » واليك اسماء من ضمّ ذلك المجلس نقلًا عن الاصل .

الحاج عبد القادر باشا . خضر جلبي رئيس البلدية . حسين المفتي عبد الرحمان القواس. عبد الرزاق وداود وموسى شهتنا . فارس جلبي ومحمد علي ومحمد راجي وعبدالله والحاج اسعد الحاج كرمو . خضر

افندي وابنه درويش مدير تل ارمن . احمد اغا كبير الداشية . شوكت بك ومحمد بك الملية .درويش كرجيه.عبد الكريم فاشوخ قاسم بن عبدي جلبي . الشيخ محمد علي الانصاري .رفعت الطيب مصطفى بن حسين بك الملية . نجيم افندي . الشيخ موسى القلاو . الحاج احمد اغا السراكجي . نعمان النمس . نعمان بن حمدان اغا الداشي . احمد بن داود بك . الشيخ عطا ابن الشيخ حامد . نوري البدليي . داود اغا المشكوي . داود اغا المندلكاني . اسعد بن حمو اليونس . اسحق ويحيى الخلوصي . قدور بك وعبد الحليم الحاج علي بك . الحاج عبد الرزاق القنطرجي

وظلّ هولاء يجتمعون ويتحيلون على اخذ النفوس والفاوس معاً حتى يوم الاثنين ٢٤ ايار فانتجت لهم فكرتهم ان يوفدوا المنادي ينادي في شوارع البلد ويقول « يلزم النصارى عموماً ان ينقلوا ما عندهم من البواريد في مدة اربع وعشرين ساعة الى مقام القومندان العسكري » ذلك ليسهل لهم فيما بعد ان يمثلوا بهم حسب هواهم. وكانوا يعرفون حقّ المعرفة ان اغلب النصارى ان لم نقل كلهم لا يقتنون مثل تلك البضائع او ان وُجد عند نفر منهم شيء منها فليس بذات اهمية . اما النصارى المساكين فلما سمعوا المناداة حملوا من فورهم الى القومندان ما كان عندهم من البواريد السقيمة التي أكل عليها الدهر وشرب . ومن جملة ذلك ان القس متى خريو وكيل بطريركية السريان الكاثليك مضى الى مقام القومندان بالسيف الذي كان مصوناً في البطريركية منذ عهد البطريرك انطون سمحيري مما كان خاصاً استعماله بالقوّاس طبقاً لانعام الدولة

وكان الخصوم اذ ذاك يذكون العيون على الذاهبين ببنادقهم الى مقام القومندان ويبثون الجواسيس والاحراس ليقفوا على سرائر النصارى . وكانوا اذا لمحوا احداً ممن سبق فأوجعهم بالكلام او طالبهم بدين انغضوا اليه راسهم وازلقوه ببصرهم واضمروا له المكيدة منتظرين الساعة بذاهب الصبر ليسحقوه ويتلفوه

وبعد هذا انتزعوا السلاح من جميع المسيحيين المنخرطين في الجند العسكري وعزلوا جميع من كان منهم موظفاً في المحكمة بحيث لم يبق من النصارى سوى عزيز افندي ابن يعقوب الدياربكري الكاتب الاول في الديون العمومية وجرجس افندي مقدسي نانو امين الصندوق وجرى ذلك بهمة مديرها علي صائب افندي صديقهما الحميم الذي دافع عنهما وصانهما من دهاء الخصم حتى اول اب ١٩١٥ فسارا الى حلب وواصلا شغلهما حتى يومنا. وكانت نجاتهما باعجوبة غير منتظرة لانه لم يبق من جميع المأمورين المسيحيين في ولاية دياربكر وبتليس سواهما

ويوم الاحد ٢٣ ايار سار طاهر ابن الحاج كوزه الى بيت الفتى عيسى بن قريو السرياني ودعاه الى بستانه ببحر الطور ترويحاً للنفس فاعتذر الفتى النجيب ما امكنه خائفاً فأبى عليه طاهر قبول عذره والحّ مشددا الدعوة فلم يسع الفتى الصبيح الوجه الا الاجابة خشية ان يقوده مكرها . ولما كان عصر النهار ربطه الى شجرة وقضى منه الوطر الذميم ثم مال فصلم اذنيه وجدع انفه واخذ يبتر بقية جوارحه فسالت دماؤه متدفقة من جميع اطرافه وما لبث الغاشم ان دعا جميع المقيمين في البستان لينعموا نواظرهم بذلك المشهد الوحشي

فوقفوا يتفرجون وهو يمازحهم امــام مشهد يفتت الصخور ثم شرع ثانية يقضب فريسته على مرأى منهم فيقطع بخنجره اوصاله ويبضع لحمانه حتى فاضت روح ذلك الفتى المسكين من بعــد ان ذاق الوان الفضيحة والعذاب. ولما نمى الخبر الى امه الثكلى اخذت تلطم وجهها معولة وتندب حشاشة كبدها مولولة فارسل اليها ابو القاتل خمسين ذهبا دية ولدها فردّتها بأنفة قائلة لست اقبل دية عن ولدي بل ارفع دعواي الى الله القاضي العدل واكل اليه ان ينصفني من القادر بفلذة كبدي

ويوم الثلاثا ٢٥ ايار هجم عايكو حمري على دكان جرجس بن حنا آدم الشاب الارمني يطلب منه عباءة . فانكر عليــه جرجس الطلب . فاخبر عليكو الخبيث صديقه عليًا خفير حي الشكيــة فقبض عليه وساقه الى دير الرواهب الفرنسيسيات فعرّاه من ثيابــه بالمرّة وصب عليه ماء باردًا حتى جمدت دماؤه في عروقه ثم اخذ السوط وجعل يضربه بجفاوة وغلاظة ويقول له لست اكف عن صفعك ما لم تجاهر بالاسلامية .فنادى جرجس باعلى صوته والراهبة اسانسيون تسمعه يقول « اني احيا واموت على ايمان المسيح » وكان جرجس متمنطقاً بالزنار الفرنسيسي فحله عــلي اللعين وجعل يضربه به ويقول ادعُ صاحبه لينقذك من يــدي . وما لبث يضربه الضرب الوجيع حتى انتفخ جسمه وتنــاثر لحمه فأرسلت الراهبة في استدعاء اهله فاقبلوا وحملوه على سرير ومضوا به الى داره . واستمرّ جرجس ملازماً الفراش يشكو أليم اوجاعه حتى سادس حزيران فأقبل عليكو الخبيث في جملة من العسكر الحميني واستاقوه الى السجن وضموه

الى النصارى المسجونين آنئذٍ ثم ساقوه معهم عاشر حزيران وقتلوه

وفي هذا اليوم تقدم رشيد اللئيم الى حلمي بك متصرف ماردين الكريم في ان يلقي القبض على وجهاء النصارى ويزجهم في السجن . فأجابه حلمي اني لست اجد علة في نصارى ماردين تستوجب حبسهم ومن ثم فيتعذر عــليّ ان انفذ اوامرك . فامتعض الوالي شديد الامتعاض ونوى مذ ذاك ان يعزل المتصرف الصدوق كما سترى

ويوم الاربعا ٢٦ ايار وافتنــا الاخبار من براري دياربكر ان احمد اغا صاحب قوصان والعوين وما والاهما بعث اصحابه على الرئيس برو الارمني المشهور بنفوذه وثروته في ذلك الصقع وكان عنده يومئذٍ صهرهُ يوسف سعيــد نانو كدا السرياني . فانقضّ اولئك الاوباش كالطيور الكاسرة على دار الرئيس برو العامرة واصلتوا عليه السيوف وفتكوا به وبصهره وبجميع أسرته . وفيما كانوا يذبحونهم بشراسة اضطروهم الى الاسلام فلم يسلموا . وسبوا الفتيات واختلسوا ثروة الرئيس الوافرة وملكوا اراضيه وكنوزه وامتعته واملاكه . فلما وصل الخبر الى خاتون ان والدها وقرينها وسائر ذويها قــد تغلب عليهم الاعداء وبطشوا بهم لبست الحداد واستدعت الاهالي والاصحاب ليشاطروها احزانها ويعزّوها في اليم مصابها وغاب عنها انه عما قليل سيجري مثل ذلك في بلدتها عينها ثم ان اصحاب احمد اغا انتشروا في تلك القرى المجاورة وجاسوا خلال الدور والبيوت والجأوا النصارى على انكار النصرانية والمناداة بالهيللة فمن اسلم استحيوه ومن ثبت في ايمانه قتلوه

وفي اصيل ذلك اليوم عينه اي ٢٦ ايار اقبل سيف الدين الجندي

ثلاثين ليرة عنه وعن عمه وابن عمه ٠فقبضوا العشر واطلقوه واستاقوا الخمسة الى السجن٠ وورد في اليوم عينه امرٌ من ارضروم في اشتغال مائة وخمسين سرجاً فاطلقوا يوسف خنجو ودفعوا له ذلك المبلغ ليستحضر اللوازم ويباشر العمل ٠ لكن يوسف اعلن للمأمورين انه يقوم بانجاز العمل مجاناً لان الدولة اطلقته

وفي هذا اليوم أبصر وافه (قندافت) كنيسة السريان الكاثليك قوماً من العسكر الحميدي يحفرون تحت الليل الخندق المصاقب لشارع الكنيسة ليدفنوا فيه اسلحة ٠ فما تمالك ان عارضهم واحتجّ عليهم فكتموا عنه الحقيقة ورجعوا بصفقة خاسرة ٠ ومنذئذٍ جعل يبث العيون على الازقة ليل نهار حذر ان يطمر فيها الخصم شيئاً فينقلب ويدّعي ان السريان اخفوها لوقت الضرورة ليصيب منهم حجة التنكيل بهم وسفك دمهم

واعلم ان اخبار العاصمة في هذه الايام ما كانت تشير الا الى محاربة الفرنسيس والانكليز مع تركيا في الدردنيل ومرمرا والبحر الاسود ٠ كأن ارباب الامر غافلون عما يجري في تركيا من الجرائم والفظائع والمذابح ٠ ولما ايقن مطران الارمن ان لا بد من الايقاع به وبجماعته استدعى اليه سرّاً حبو ابنة يوسف ساعور وسيرها في كتب الى القنصل الاميركي في حلب يورد له المخاطر الحاصل فيها هو وطائفته ويطلب منه النجدة والمعونة على وجه العجلة غير ان القنصل لم يفده شيئاً بل لم يستطع الى جوابه سبيلا

الارغني وعبدالله بن خضر افندي وسبعة آخرون مدججين بالاسلحة الى كنيسة السريان الكاثليك يريدون جرجس حنجو السرّاج الارمني وكان حاضراً آنئذ صلوات الشهر المريمي فقبضوا عليه وساروا به الى دير الرواهب منقع العذاب وتركوه هناك ومضوا فاستحضروا الى المحل عينه عمه يوسف وسمونيل ابن عمه وسمونيل القصاب ورزق الله مرشو وشقيقه سمونيل ٠ وما مضى من الليل ساعتان حتى وافى فكري البكباش وفي يده كلبتان ضخمتان يتبعه اثنان وعشرون من الجنود المسلحين٠فاستدعوا جرجس حنجو الى غرفة منفردة وقالوا له ٠ بلغنا ان عندك بنادق ومدافع فاذهب في احضارها والا عاقبناك اشد العقوبة ٠ قال جرجس اني طبقاً لمناداة المنادي دفعت الى الحكومة ما كان عندي من السلاح واليكم الورقة المختومة المؤيدة ذلك ٠ قالوا لا بد لك من تسليم ما عندك كله والا عذبناك مثلما عُذب نصارى ديار بكر مما بلغك خبره ٠ ثم ألقوا الحبال برجليه وصفعوه ثلاثاً وعشرين ضربة احتملها صابراً فتوسط عبدالقادر القومسير واستمهل الحضور ساعة ليقرره ثم انزوى به وقال له علمت انك استحضرت اسلحة وبواريد من حلب فقل لي لمن بعتها ٠قال جرجس هذا افك محض لا صحة له بتة٠ثم استنطقوا رفاق جرجس فلم يصيبوا منهم حجة تؤيد ما توهموا ٠ وعند نصف الليل اقبل فكري البكباش تكراراً لينزل العذاب بالستة٠ غير انهم وعدوا القومسير بدفع ستين ليرة على ان يخلي سبيلهم ٠ فاطلقوا جرجس صباح ٢٧ ايار ليحضر ما وعد فجاء الى كنيسة السريان وسمع القداس ثم قصد نحو والده وبلّغه ما جرى ٠ فاعطاه

الجزء الثالث

في الحبوس والمذابح والسبي وسائر الفظائع

من حزيران ١٩١٥ الى تشرين

الفصل الاول

جرائم الشر والنفاق

متى أصيب المرء بالنكبات والبلايا واحتفت به ضروب الافات والرزايا هجره الاصحاب والاخوان وغضوا عنه عين التودة والاحسان وتركوه يتقلى ويتكوى مصطبراً على المحنة والبلوى ريثما يوافيه الفرج والعزاء من رب الرحمة والجزاء . فالنصارى في ما بين النهرين لما شهر حزيران ١٩١٥ نبذهم ارباب الحل والعقد ومقتهم اصحاب الحكم بحيث لم يبق بينهم خال صدوق يذب عن الحقوق.

وكان وجهاء المسيحيين يظنون لسلامة طويتهم وسذاجة قلبهم[1] انهم لن يُنكبوا بأعظم مما نكبوا ولن يُفجعوا باكثر مما فُجعوا الى ذلك الحين

ولكنما لله في ذا مشيئة فينا ما يشاء ويحكم

على اننا توخينا ان نورد في هذا الفصل اسماء بعض الجناة الطغاة ونلمع بذكر شيء مما اقترفوه ليقف القراء علي ما اتصلوا اليه من الكفر والنفاق

١ : رشيد الطاغية والي دياربكر

هو جرثومة الخبائث والفساد واصل المشاغب والفتن والداعي الى سفك الدماء وارتكاب الفظائع . عزل من لم يجاره في انجاز نياته الفاسدة كحلمي بك متصرف ماردين وقائمقام ديركه وغيرهما وبعث الرسل الى البلدان والقرى ليثيروا المثائر ويهيجوهم على المسيحيين. وافضى به النفاق الى ان امر بتصوير جثث القتلى النصارى وكتب تحت تلك الصور هذه العبارة الزورية « النصارى يعذبون المسلمين » ولما انجز الوظيفة على ما رام هو واصحابه سار الى العاصمة واحتظى عند طلعت صديقه الحميم فأثنى على عمله وجده واستحصل له من السلطان انواط الشرف ونصبه والياً على انقره وليلة وصوله اليها أمر باحراق الولاية وكان اول من نشم في ذلك

(١) ان وجهاء الارمن ولاسيما نعوم جنانجي واسكندر آدم كانوا على يقين ان مسلمي ماردين لن يتحزبوا لرشيد الوالي واصحابه بل يدافعون عن حوزة النصارى كما دافعوا منهم سنة ١٨٩٥ ...

بلغت قيمته الفاً وخمسين ليرة ذهباً وحملتها اليه في حقيبة كبيرة فقبضها واستاق غرًا من فوره مع سيدات دياربكر الارمنيات فتكثر بمال النصارى واستغنى وبطر واسرف الليالي في البذخ والسكر . وبعث الى عبد الامام يحرّض العشائر على قتل نساء القافلة الاولى ومحق اثرهن . وارسل ممدوحاً زميله وشريكه في النفاق الى ديرمار افرام فاختلس من الفضة والذهب شيئاً كثيرًا وتقاسماه على السكت

٦ : ممدوح

ما زال النصارى حتى يومنا اذا فتحوا كلامهم بذكره سبّوه ولعنوه . واذا استعاذوا بالله من ابليس الرجيم عنوه . ركض قبحه الله في حلبات الضلال وغربل النصارى بغربال الجور والغدر والنكال وخُصّ بفظاظة الطبع وغلاظة الرقبة وامتاز بصورة شوّهها الخالق وقبحها حتى اذا رآها الكلب نبحها . تحالف مع أصحابه الخبثاء على تقويض اركان الدين المسيحي ونسف صروحه . وعاث في ماردين وقراها عيثاً . ونكل بالنصارى في السجن واستاق قافلة الرجال الاولى وقتلهم عن آخرهم تحيل على اخذ الاموال اذ كان يحوم على الذهب حوم الحدأة على المزابل . وقضى الليالي في مسامرة النساء واقتراف المنكرات . ونقول القول الفصل ان فظائعه وقبائحه ركبت الالسن وسارت في البلاد . وما برح لعنه الله حتى يومنا حيًا يجول من مكان الى مكان

توفيق بك ياور رشيد

هذا اقتعده ابليس الخناس واتخذه آلة لترويج الشر والفساد وبعثه

لينتهك الحريم ويسبي الذراري ويثخن في النصارى . وكانت عجرفة طباعه لا تُقاس بقياس . حلّل المحرمات وتقلب في الامور كما شاء طبقاً لما قيل

اذا رزق الفتى وجهاً وقاحاً تقلب في الامور كما يشاء

وهو رفيق ممدوح في اسفاره حليفه في شروره . خضب سيفه بدماء النصارى الابرياء واختلس من الاموال شيئاً كثيرا

٨ : هرون ملازم الجاندرمة ؟

شخص الى ماردين ظهيرة الخميس ثالث حزيران صحبة ممدوح وتوفيق المزبورين فكان ثالثة الاثافي . تفرد بالعتو والقسوة ولزم المفاسد والشنائع قدر ما سوّغت له النفس الامارة . وهو الذي حرج على الاكراد استحياء الفتيان والفتيات في قافلة النساء الاولى . فحشروهم في بالوعة عبد الامام وخضبوا يديهم بدمائهم الطاهرة . . . لا جرم ان كل نفس تُوفى ما عملت

واقتفى آثار هولاء حسين افندي المفتي ومصطفى منير وحجابي وعبد الكريم الامدي وغيرهم من المنصّبين في شؤون الحكومة

٩ : عبد القادر القومسير ومعاونه فائق

وعامة البوليس

استركض القومسير ومعاونه عامة البوليس واستعجلاهم على الجولان في الدور والشوارع ليلًا ونهارًا للقبض على النصارى وخطف الاولاد والحريم واختلاس الاموال . وقد عرفنا منهم حقي وفكري وعلي قاعو وصالح الفرّوخ الذي استنزف اموال منصور قليونجي

وامتعتـه باسرها واستاق امراة منصور وحماته واولاده وسائر آله فقتلوهم اجمع . ومنهم توفيق بابا نجم وفواد الكرجيـه واخوه خاوص واحمد ابن الحاج قاسم قاتل القس يعقوب فرجو الارمني وبوزو الدياربكري وسعيد الميفارقيني وشاكر الجوخدار واخوه توفيق . وحسن بك الضابط ابن الحاج علي بك الذي اختلس ما كان في غرف دير مار افرام لما كان الرهبان محبوسين في ٢ آب ١٩١٥ وحيدر ابن الشيخ افندي وغيرهم . فانهم قتلوا وسبوا وتبصلوا الاموال وركبوا الفواحش قدر ما وسوس اليهم ابليس . ولكن الذي فاقهم وفاتهم هو محمد كبوشو المشهور فان قبح منظره دل علـى سوء مخبره . وكنت تراه اثناء القافلة مخترطاً سيفه والسوط بيده يكبس بيتاً فبيتاً يذعر النصارى ويضربهم دون تميـيز بين الكبير والصغير والرجال والحريم . اذ كان مباحاً عنده القتل وانتهاك الحريم وسفح الدماء واختلاس الاموال . وهو الذي اخترع خشبة علـى شكل صليب علق عليها غير واحد من المسيحيين المسجونين وجلف اظفارهم ونتف شعرهم الخ وهو الذي قتل عبد المسيح مالو ونكل بسليم بن يوسف الخوجا يونان وفتك بانطون معارباشي وغيرهم ممن سترى اسماءهم في هذا المؤلف . وفاته ما قيل « انك ميت وانهم ميتون ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون »

وضارع البوليس في ارتكاب المنكرات العسكر الخمسيني بلفيفهم كمحمد اللي والشيخ قاسم الانصاري والشيخ ضـاهر مأمور الحبس والشيخ نوري وشوكت بك ابن محمد سعيد آغا واخيه رضا وبشو السرّاج واولاد الشيخ خطاب وصادق ابن علي التزي والحاج جلدو

وقادي عمشاكي وحمدي الشرابي وخليل خلفو وغيرهم

وحاكاهم في إلحاق الاذى بالنصارى جميع الشكوية مع انوهم هم الذين حموا عام ١٨٩٥ ذمار المسيحيين وحاموا عنهم بكل جهدهم [راجع هنا ص ٦٠ ـ ٦٦] كفارس بن حمي الباشا وعمه عمر وواصي بن محمد سعيد آغا وياسين ابن عمته وعلي البيرقدار وعثمان ومصطفى وعزيز ايو ودرويش حمو رشو وغيرهم

وماثلهم في ذلك عامّة الداشية كحسين بلالو واخويه خليل وعثمان وغيرهم وضاهاهم من المندلكانية اولاد علي معمو وعمر معمو ومحمد شريف بن فرحـان وبيت قادي بكر وعزيز بن برو حسين بك وخليل او خلو الذي وشى بالقس حنـا بنابيلي جاره فكبسه الجنود في داره واوسعوه ضرباً ورفساً واستاقوه الى السجن واضافوه الى اصحاب القافلة الثانية

واننا نعرض عن ذكر الكثيرين من الذين عرفنا اسماءهم ووقفنا على حقيقة افعالهم وهم الذين سدّدوا نبال الفتن وافحشوا في استنباط الحيل وبالغوا في السبي والخطف والسلب والنهب والقتل وتفننوا في اشكال التعذيب من قطع السنة وجرّ اسنان واظفار وشرم انوف وآذان وبتر اعضاء ونتف شوارب ولحى وهلمّ جرًّا . على ان ذلك يتطلب الصفحات الطوال وليس من شأننا ان ننتقد او نعقّب علـى فعل واحد فواحد بل غايتنا انما هي ايراد الحوادث على حقيقتها وبسطها على علاتها ليس الا

على انه مذ حضور زلفي وفيضي الى ماردين تباشر الخصوم بنيل المآرب وسارعوا الى تاليف الجمعيـات السرية في النوادي واستنباط

الحيل الشيطانية لادراك الاماني . ففغروا الافواه ومرجوا الالسنة في الاعراض واطلقوها في الذمّ والاغتياب وكتبوا رسائل الجور والظلم ليحرّفوا حكم المساكين ويسلبوا حق البائسين « لتكون الارامل مغنماً لهم وينهبوا اليتامى [اشعيا ١٠] مع علمهم الوكيد ان النصارى ابرياء وانهم ليسوا الا كعبيد لهم اذلاء من امس فما قبل

وكان بعض خدمتهم النصارى يتنصتون لما يقولون ويوصلون الينا مضمراتهم فكنا نكذبهم ونقول لهم . ان صداقتنا مع المسلمين أصفى من عين الديك ومحبتنا لهم اصلب من حديد . ومن ثم فلا يمكن ان تنقلب الصداقة الى عداوة والرقة الى فظاظة اذ لم يكسر بيننا عظم . وزد عليه انه لا يوجد في بلدتنا احد من الارمن القحّين او ممن قاوم الحكومة وتعرض لها فيما سلف. بل اننا والحمد لله كاثوليكيون نخضعون لاوامر الدولة قابلون لها على الراس والعين . فلا يسوغ من ثم للحكومة ان تعنتنا وتعتقد لنا العداوة وتعاملنا بالخيانة . بل اذا وافتها الاوامر على فرض في قتلنا او اجلائنا كتمتها ودافعت عنا وحقنت دماءنا . غير انه لسوء الحظ خابت الامال فصار اصدق صديق واعزّ رفيق أخبث خصم وأخون عدوّ . وامسى الخروف ذئباً والحمامة افعى

بناء عليه قضيت مجالس الشورى مذ نيسان حتى سلخ ايار وجرى الاتفاق على ادارة رحى الاضطهاد على ائمة المسيحيين اولاً ثم على الوجهاء فالافراد فالنساء فالاولاد . فتشمروا وتحزموا وراشوا السهم قبل الرمي حتى اذا كان حزيران استوسق لهم ما احبوا فاقاموا طائفة من العسكر لحراسة البلد كي لا يخرج منه احد . ونصبوا طائفة

للتنكيل وجماعة لمرافقة القوافل وحراستهم اعني ذبحهم وقوماً لافراغ الكنائس واخلاء البيوت

وآخر الامر نفضوا يدهم من المسيحيين بارة واصفقوا على سجنهم واطبقوا على تعذيبهم وقتلهم وتواطأوا على سحقهم ومحقهم مع انهم الى ذلك العهد كانوا محاليف لا يتفقون في امر . وكتموا هذه الدسائس عن اعز الخلان وحلفوا بالمحرجات انهم لن يبوحوا بالسر الى احد بل توعدوا بالقتل حالاً كل من بلّغ النصارى كنه تلك التدابير . مهلًا يا هولاء اذكروا انّ « من يعمل مثقال ذرة خيرًا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرًا يره » والسلام

الفصل الثاني

الغاء الامتيازات

يعرف كل خبير انه كان لدول اوربا ولاسيما الدولة الفرنساوية امتيازات شتى في تركيا غايتها صيانة حقوق النصارى وحرمة الاقليرس وعدم التعرض الكنائس والمدارس واقتضى لاستحصالها ازمنة طويلة ومبالغ جسيمة واتعاب كثيرة

غير انه ما مرّ الشهر على اعلان هذه الحرب الضروس حتى الغت تركيا تلك الامتيازات وعادت اليها الكلمة فاقامت انور وطلعت لينفذا هذا المشروع ويعلنا به . فاجتمعا باحزابهما وحواشيهما وبثّاهم ما يكنه صدرهما من الحزازات على النصارى ولاسيما الارمن قاصدين بذلك على رأيهما الفاسد خير الدولة وسعادتها ومن جملة ما نطق به انور ان جلّ مرامه هو ان يُري الطرق التملص من عبء ذلك

الحمل . والتخلص من رق العبودية . حتى قال « ان العبودية صعبة تلجىء صاحبها ان يعيش مهدداً مخوفاً محتقراً لا يتيسر له ان يبدي رأياً او يبتّ حكماً دون مشورة او مراجعة . فدولة كهذه وجودها وعدمها على حدّ سوى . والا فمن يجهل ان البصير خير من الاعمى والحرّ افضل من العبد »

فصفق الحضور لخطابه استحساناً واستصوبوا رأيه وبعثوا الاخبار الى الولايات بان تركيا أُعتقت وان امتيازات الاجانب أُلغيت . فدقوا الطبول وبوقوا في الابواق ورفعوا اللواء العثماني الاحمر المشير الى سفك الدماء

اما جمعية الاتحاد والترقي فاعلنت قائلة : « بما ان الارمن ياتون اموراً تخالف السنن ويغتنمون الفرص لازعاج الحكومة ويخزنون اسلحة وقنابل ومواد منفجرة ليسعروا نيران الثورة داخل البلاد ويفتكوا بالمسلمين ويعضدوا روسيا فاستدراكاً لمشاغبهم نقرر ان يساقوا جميعاً الى ولايتي الموصل وسوريا ولواء دير الزور على ان تكون اعراضهم وانفسهم واموالهم في امان من اعتداء المعتدين وتعديات المجرمين . وقد اصدرنا الاوامر لاسكانهم في تلك البلاد ريثما تضع الحرب اوزارها »

هذا كان البيان الرسمي العلني في شأن الارمن فقط . اما البيان الخفي والحقيقي فكان يرمي الى تأليف العسكر الحسيني (الليس) ليساعدوا الجنود على قتل الارمن وسائر المسيحيين ويتلفوهم ويستحوذوا على اموالهم وارزاقهم والسبب في ذلك على ما رووا ان ارمن مصر واوربا واميركا اوفدوا خفية عشرين رجلاً ليفتكوا غيلة بطلعت

وانور

وبعد هذا انصبوا وعزلوا من احبوا ثم أمروا بجمع اسلحة النصارى والقبض عليهم وتعذيبهم وسوقهم وقتلهم وانعموا على من جاراهم ببراءة عمومية وحرية تامّة ليقتلوا ويخطفوا ويختلسوا ويفحشوا كما يبتغون ويهوون . ومن المقرر ان السمكة اذا فسدت فسدت اولاً هامتها وقد قيل

لما رايت الراس وهو مهشم   ايقنتُ منه تهشم الاعضاء

الفصل الثالث

صفات اعداء الانسانية

لا تحضرنا عبارة نرضاها لنقبّ عن عيوب اعداء البشرية وشوائبهم فلو قلبنا كتب اللغة اجمع وطالعنا تصانيف ابلغ البلغاء وافصح الفصحاء لا نكاد نعثر على لقب او كنية او نبز يوافقهم . ومن ثم نقر بعجزنا وندع الامر لغيرنا . وناهيك ان المرئيات ليست كالمسموعات فقد رأينا شناعاتهم بعيننا ووقفنا على قبائحهم فهم قوم قبضوا مقاليد الفساد والشقاق ودرسوا اساليب الكذب والنفاق حتى فاتوا الابالسة بابليستهم وفاقوا الوحوش بهمجيتهم . اصبحوا اعقّ من ضبّ واظلم من حية . حازوا قصب السبق في شراسة الطبع وفظاظة الخلق . تمكنوا بالدناءة والخساسة وقذفوا كل مروءة وكرامة . قرّعوا صفات النصارى واستطالوا في اعراضهم . حسبوا هدر الدماء واسترقاق الاحرار وغصب الحريم من فعال المجد والشرف « انما يامرهم الشيطان بالسوء والفحشاء » غدت مودتهم كيداً وصحبتهم صيداً وتقربهم

مكراً ومواصلتهم غدراً . احتقروا كل ما حرمه الله وتطاولوا الى كل قبيح . اضحوا احقد من الجمل واشكس من النمر . وباروا الارنب بشبقهم . والباز بضيق خلقهم . دخلوا كالبومة على الطيور في وكرها وافترسوا فراخها . واذا راوا امراة حسناء غيروا صوتهم وبدلوا حركتهم حتى يبلغوا منها الارب . استعذبوا كالظبي ملوحة الشهوات الاجاجية واستحلوا مرارة الخزايا الحنظلية . تهافتوا تهافت الفراشة عــلى ركوب كل محظور ومحذور ومقارفة جميع المفاسد والشرور . فجروا وفسقوا خلافاً لما أمروا «ولا تقربوا الزنى انه كان فاحشة وساء سبيلا» [سورة الاسرا].

ونقول على وجه الاختصار انهم حسبوا النصارى اذل من نعل وابخس سلعة فتصرفوا بهم كما سوّغ لهم الهوى دون ان يرعوا لاحد عهداً . اما المسيحيون فأغضوا على ذلك كله وصبروا وضحوا بدمهم حباً لدينهم حاذين حذو القائل

فت ما على من مات حراً نقيصة   الا انما النقصان ان تتهضما

قل لي يرحمك الله اي دليل اصرح ام اي برهان اوضح ممــا ذكرناه تاييداً لخزاياهم . ايتيسر لهم ان يبرّوا ساحتهم مما قلناه . أفي وسعهم ان يحجبوا شناعاتهم وقــد اخرجوها من عالم الكمون الى عالم الظهور حتى وقف على جليتها القاصي والداني والغبي والذكي . فليتذكر هولاء بما اورده ابو الفــداء [ج ١ ص ١٥٩] عن النبي صلعم انه أثناء مرضه خرج . . حتى جلس على المنبر فحمد الله ثم قال « ايها الناس من كنت جلدت له ظهرا فهذا ظهري فليستقدمني ومن كنت شتمت له عرضاً فهذا عرضي فليستقدمنه . ومن اخذت

له مالاً فهذا مالي فلياخذ منه ولا يخشى الشحناء من قبلي فانها ليست من شأني » فتامل

الفصل الرابع

زيارة السيد اغناطيوس لمطران السريان . مجيء ممدوح وزمرته . القاء القبض على المطران والكهنة والوجهاء والجماعة . تعذيبهم . بولس شوحا

مضى شهر ايار عــلى ما وصفنا والسيد اغناطيوس كاسف البال قلق الخــاطر مكروب النفس تؤرقه الهموم وتتقاسمه الافكار . وصباح الثلاثاء بدء حزيران شخص الى كنيسة السريان ليزور صديقــه الحميم السيد جبرائيل تبوني فاستدعى الاباء الدومنكيين الموجودين لديه وبثهم لواعج حبه وكاشفهم بمكنونات صدره وبعد ان افاض في الحديث وصرّح لهم بما يخامر فؤاده الحنون من الاشجان عرض على السيد جبرائيل شؤون من يتبقى في قيد الحياة من جماعته المحبوبة ثم نشر رسالته الاخيرة [انظر هنا ص ١٣٥] وتلاها بحضورهم ثم طواها ودفعها الى صديقه يقول « صن هذه الوديعة لديك . احتفظ برعيتي بقدر طاقتك . انت المفوّض في شؤونها من بعدي ريثما يرى الرؤساء تدبيراً اخر . على اني متحقق ان قد حضر الزمان لارتحالي من هذه الدنيا الغرور » فجعل المطران جبرائيل والاباء الثلاثة يشجعونه ويسلونه ويعللونه بالنجاة . غير ان الحبر المغبوط ما تمالك ان قال لهم « اني عارف حق المعرفة ان سيُحكم علي وعــلى رعيتي العزيزة بالعذاب والموت . . اني منتظر القاء القبض علي وعليهم من يوم الى يوم . . لا بد لنا من ذلك . . جئت اذن اليوم اودعكم واستودعكم الله .